الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور- خنشلة-

معهـــــد الآداب واللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

دلالات الفضاء في رواية "جمان وعنبر "

لمسعودة بوبكر

مذكرة مقدمة لاستكمال مقاييس شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص:أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبة

كـزيز رحمة

إشراف الأستاذة :

سعيدة بن بوزة

لجنة المناقشة

الإسم و اللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ،د رقيق ميلـــود	أستاذ مساعد	جامعة عباس لغرور –خنشلة–	رئيسا
أ،د بن بوزة سعيدة	أستاذ مساعد	جامعة عباس لغرور –خنشلة–	مشرفا
أ،د بلعيفة رشيـــد	أستاذ مساعد	جامعة عباس لغرور –خنشلة–	مناقشا

السنة الجامعية: 2014/2013

دعـــاء

الحمد لله الذي فضلنا بالعقل وكملنا بالعلم وجملنا بالفضيلة وأسعدنا بالهداية

والتوفيق ، يارب إجعل أول هذا العمل فلاحا وآخره نجاحا ، والصلاة

والسلام على سيدنا محمد الذي عرف حقيقة الدنيا فقال لأبي ذرالغفاري

"ياأبى ذر جدد السفينة فإن البحر عميق ، وأكثر من الزاد فان السفر طويل

وأخلص العمل فإن الناقب بصير وخفف الحمل فإن العقبة كؤود يابى ذر"

" اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه "

شكر وعرفان

لابد لنا ونحن نخطو خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية من وقفة نعود إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير باذلين جهودا كبيرة

في بناء جيل الغد لتبعث وقبل أن نمضي نتقدم بأسمى آيات الشكر والامتنان و التقدير و المحبة إلى الذين حملوا الأمة من جديد أقدس رسالة في الحياة

إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة

إلى جميع أساتذتنا الأفاضل

كن علما .... فإن لم تستطع فكن متعلما ، فإن لم تستطع فأحب العلماء ، فإن لم تستطع

فلا تبغضهم

وأخص التقدير والشكر الأستاذة المشرفة :**سعيدة بن بوزة**

وفي الأخير نرجو من الله التوفق

إهـــــداء

إلى من كلله الله بالهيبة و الوقار ... إلى من علمني العطاء بدون انتظار ..إلى من أحمل اسمه بكل افتخار أرجو من الله أن يمد عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار

وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد (والدي العزيز)

إلى ملاكي في الحياة ... إلى معنى الحنان والتفاني ... إلى بسمة الحياة وسر الوجود

إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب أمي الحبيبة.

إلى إخوتي ورفقاء دربي وهذه الحياة بدونكم لا شيء معكم أكون أنا وبدونكم أكون مثل أي شيء ... في نهاية مشواري أريد أن أشكركم على مواقفكم النبيلة الى من تطلعتم

لنجاحي بنظرات الأمل أخوتي وبالأخص أخي الصغير تامر .

إلى توأم روحي ورفيقة دربي ... إلى صاحبة القلب الطيب و النوايا الصادقة

إلى من رافقتني منذ أن حملنا حقائب صغيرة ومعك سرت الدرب خطوة بخطوة و ما تزال حتى الآن أختي

إلى أخواتي اللواتي لم تلدهن أمي ... إلى من تحلو بالإخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء إلى ينابيع الصدق الصافي إلى من معهم سعدت ، وبرفقتهم في دروب الحياة الحلوة و الحزينة سرت إلى من كانوا معي على طريق النجاح والخير

إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني أن لا أضيعهم صديقاتي

لقد خضعت الرواية في مسار تطورها إلى تغيرات عديدة رافقتها نظريات متباينة ترصد ما يطرأ على المجتمع من تحولات وما يقابله من تمايز، انعكس على هذا الخطاب السّردي الروائيّ الذي أراد أن يختصر أجناسا عديدة من ألوان الأدب تحت رايته، إلى درجة اعتبار بعضهم الرواية من الأجناس الأدبية المعبرة عن المجتمع بامتياز .

ولقد اشتغل الدارسون طويلا بدراسة الرواية في النقد الأدبي، أدّى إلى وجود اختلاف كبير حول تكوين أنساقها وتمايز واضح ظهر بين مختلف الدراسات التي اهتمت بالرواية .

ومن أهم تلك الدراسات التي وجدت صعوبة في تخطي هذا الاشتغال تلك الدراسات حول الفضاء هذا الأخير الذي أوجس الباحثون نحوه ،وهذا لعدم وضوح رؤيته وضعف المنجز النقدي اتجاهه ، إذ لم تعنى معظم الدراسّات الشعرية والسيميائية في النقد الحديث لتخصيص أية مقاربة وافية ومستقلة للفضاء الروائي باعتباره مكون حكائيا قائم .

لهذا ظل الفضاء المكاني من المكونات السّردية مجهولة الأفق سواء أكان ذلك المكان واقعيا أم خياليا، ورغم هذا الاهتمام المتأخر الذّي لقيه الفضاء عند النقاد العرب ومحاولاتهم الجدية في بناء درس واضح لهيكل الفضاء.

لعل ذلك من الأسباب التي كانت وراء اختياري لهذا الموضوع وهي "دراسة دلالات الفضاء في رواية جمان وعنبر لمسعودة بوبكر " لقد ،وقع الانتقاء على رواية تونسية " جمان وعنبر " لتكون وسيلة التجريب في بحث عن دلالات الفضاء وأبعاده المختلفة، التي تتمظهر من خلال الأحداث وتتشابك بنية الروائية بمختلف تجلياتها ،وبذلك كان التساؤل حول أبعاد الفضاء في الرواية أو ما هي دلالات الفضاء في الرواية؟.

وقد قسمت بحثي هذا إلى مقدمة وخاتمة و إلى فصلين تناولت فيهما التالي:

الفصل الأول : مفاهيم ومصطلحات

وهو عبارة عن فصل نظري تناولت مفاهيم وتحديد بعض المصطلحات وعلاقتهما ببعضها البعض من خلال تناول النقاط التالية :

1- مفهوم الفضاء :

أ- لغة

ب-اصطلاحا

2- مفهوم المكان :

أ- لغة

ب-اصطلاحا

3- علاقة الفضاء بالمكان

4- أنواع الفضاء

1- الفضاء الجغرافي

2- الفضاء النصي

3- الفضاء الدلالي

4- الفضاء كمنظور أو كرؤية

5- أهمية المكان في الرواية

6- أهمية الفضاء

أما الفصل الثاني فكان تحت عنوان دلالات الفضاء فهو فصل تطبيقي وتناولت فيه النقاط التالية :

أولا الفضاء المفتوح :

1- المدينة العتيقة

2- الشارع

3- المسجد

4- البحر

5- سوق البلاط

6- الحي

7- المرسى

ثانيا الفضاء المغلق :

1- البيت

2- القصر

وفي دراستي لهذه الرواية ركزت على الفضاء المكاني وحيث تناولت مجموع الأمكنة المدروسة، بالوصف حسب ما قدمتها الروائية في مقاطع وصفية وتأويليها وبالإشارة أيضاإلى الأبعاد التي تشير إليها ومن ثم فقد اتبعت المناهج التالية : الوصف والتحليلي .

ولقد اعتمدت على مصادر ومراجع ساعدتني في تحليل الرواية ككتاب غاستون باشلار(جماليات المكان) الذي يعد من الأبحاث الأولى التي نبهت الى الاهتمام بهذا المكون، وأيضا كتاب بنية النّص السردي للناقد المغربي حميد لحميداني حيث استطاع أن يؤسس لمقولة الفضاء بشكل مقبول استوحاه من غربية مختلفة ،ونجد أيضا كتاب بنية الشكل الروائي لحسن بحراوي كتاب لغة السرد في روايات عبد الرحمن منيف وغيرها من المراجع .

وقد اعترضتني في مسار البحث مجموعة من الصعوبات في سبيل إنجاز البحث:

- ضيق الوقت للإلمام بالموضع وصعوبة ربط الواقف لتشكيل ردود تتوافق و مقتضيات النص المقدم للمقاربة.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتوجه بالحمد و الشكر لله سبحانه و تعالى. راجية أن أكون قد وفقت في إضاءة هذا الموضوع فاتحا مجالا لدراسة أعمق لهذا الموضوع كما لا أنسى تقديم شكري للأستاذة الفاضلة " سعيدة بن بوزة " على ما بذلته معي من مجهودات ، وما قدمته من دعم معنوي ومادي .

الفصل الاول

الفصـــل الاول

مفاهيم ومصطلحات

1- مفـــــوم الفضـــــاء

أ- لغـــــة

ب- اصطلاحا

2- مفـــــوم المكـــــان

أ- لغـــــة

ب-اصطلاحـا

3- علاقة الفضـــاء بالمكان

4- أنـــواع الفضـــــاء

1-الفضاء الغراقي

2- الفضاء النصـي

3- الفضاء الـدلا

4-الفضاء كمنظور أو كرؤية

5- أميـة المكـان في الروايـة

6- أميـــة الفضـــــاء

إن الفضاء من القضايا المثيرة للاهتمام ، حيث يعتبر البؤرة التي تبرز التوجه الفكري للأديب، و بالرغم من النظرة الجانبية التي كان ينظر بها بعض الباحثين للفضاء المكاني كعنصر من العناصر الروائية ، والتي قلصت من شموليته و اختزلت أبعاده الدلالية والرمزية ، فمقاربة الفضاء و المكان كانت تتم دائما من زاوية وظيفية تبحث في التمظهرات الواقعية أكثر مما تأبه لمنطقها الداخلي والعلاقة التي تربطهما بمكونات التخييل الروائي، غير أن السرديات التفتت لهذه الثغرة وسعت بجدية للبحث والاهتمام بالصلات التي تجمعها بالشخوص والأزمنة وباقي العناصر الروائية[1].

وبداية سنتناول مفهوم الفضاء وأنواعه وعلاقته بالمكان .

1- مفهوم الفضاء:

أ- الفضاء لغة:

عرفه ابن منظور بأنه « المكان الواسع من الأرض والفعل فضا - يفضو – فضوا وقد فضا المكان و أفضى إذا اتسع[2] » . فالفضاء عند ابن منظور هو متسع الأرض وهذا ما جاء في المعجم نفسه إن « الفضاء الخالي، الفارغ و الفضاء ما استوى من الأرض و اتسع، الصحراء فضاء » [3]

فنجد انه يضيف إلى المفهوم الأول الخلو أي المكان الخالي المستوي من الأرض.

و جاء في باب الواو ، فصل الفاء، مادة " فضا ":

« الفضاء المكان الواسع من الأرض والفعل فضا، يفضو، فضوا فهو فاض، وقد فضا المكان و أفض فلان إلى فلان أي وصل إليه واصله أنه صار في فرجته وفضائه وحيزه، والفضاء الخالي الفارغ، الواسع من الأرض والفضاء: الساحة، وما اتسع من الأرض. يقال أفضيت إذا خرجت إلى الفضاء ، قال أفضى : بلغ بهم مكانا واسعا، أفضى بهم إليه : حتى انقطع ذلك

(1)- ينظر جيرار جينيت، كولدنستين، رايمون، وغيرهم: الفضاء الروائي ، ترجمة عبد الرحيم حزل ، إفريقيا الشرق ، بيروت ، د ط ،2002، ص 35

(2)- ابن منظور : لسان العرب مادة الفضاء المجلد الثالث، دار صادر بيروت ، لبنان ط 3، 1994 ، ص 389 – ص 191

(3)- المصدر نفسه – ص 391

الطريق إلى شيء يعرفونه ، الفضاء وجمعه أفضية»[1] وهو أيضا « ما اتسع من الأرض الخوالي من الأرض من الدار ، و ما اتسع من الأرض »[2]

وفي تاج العروس ينصرف إلى المعاني نفسها الاتساع أيضا:« فالفضاء الساحة وما اتسع من الأرض حيث يستشهد في ذلك بقول الراغب : المكان الواسع و قول **"شمير"** : هو ما استوى من الأرض و اتسع ، و قول **"أبو علي القالي "**: الفضاء السعة ومنه المفضاة و المفضى : المتسع»[3]

و بالرجوع إلى مصادر اللغة التي يعتبر القرآن الكريم رافدها نجد الفضاء قد اتخذ صيغة الفعل في قوله عز وجل: « وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض و أخذن منكم ميثاقا غليظا»[4].

مما سبق نجد أن مفهوم الفضاء لغة يأخذ معنى الاتساع والخلاء .

ب- <u>الفضاء اصطلاحا:</u>

إن تحديد مصطلح" الفضاء" و مفهومه النقدي، قضية استأثرت باهتمام العديد من الباحثين بدليل وجود دراسات تراهن على تميزه وأهميته كعنصر بنائي ، وتعتبر التغيرات الملامسة لجنس الرواية هي التي طرحت بوضوح كيفية التعامل مع مستوياته البنائية ، و الفضاء من أهم المصطلحات النقدية التي دخلت الساحة الأدبية وعالم الدراسات والبحوث حديثا ، إذ أوجد لنفسه مكانا و فرض نفسه بعد أن أهمل و همش سابقا ، وذلك بسبب اهتمام الباحثين والنقاد على عناصر أخرى كالزمن و الشخصيات والأحداث، يعد الفضاء في الحقيقة عنصرا أساسيا من عناصر العمل الروائي.

ونظرا لأنّ المصطلح لم تتضح ملامحه إلا حديثا في الدراسات النقدية فقد اختلف مفهومه وتنوع بين الدارسين والنقاد يذهب **" حميد لحميداني"** إلى أن : « الأبحاث المتعلقة بدارسة

---

(1)- ابن منظور : لسان العرب مادة الفضاء المجلد الثالث، دار صادر بيروت ، لبنان ط 3، 1994 ، ص 389

(2)- المرجع نفسه، ص 389

(3)- محمد الحسيني الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس، المجلد العشرون ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 2007 ، ص 117

(4)- سورة النساء : الآية 21

الفضاء في الحكي ، تعتبر حديثة العهد، و من الجدير بالذكر أنها لم تتطور بعد لتؤلف نظرية متكاملة عن الفضاء الحكائي، مما يؤكد أنها أبحاث لا تزال فعلا في بداية الطريق، ثم إن الآراء التي نجدها حول هذا الموضوع هي عبارة عن اجتهادات متفرقة لها قيمتها».[1]

لقد أولى الدارسون اهتماما بالفضاء من حيث التنظير والتطبيق و الممارسة، فهو إلى جانب الشخصية و الزمن والحدث يمثل الأسس الفنية التي ينهض بها المتن الروائي.

فالفضاء في الشعرية ليس فقط « المكان الذي تجري فيه المغامرة المحكية، ولكنه أيضا أحد العناصر الفاعلة في تلك المغامرة نفسها»[2]

للفضاء كغيره من العناصر الأخرى أهمية كبيرة في تكوين العمل الأدبي هذا ما أكده **"حسن بحراوي"** و: «قد وقع عليه الاختيار بوصفه عنصرا إشكاليا فاعلا في الرواية لما يتوفر عليه من أهمية كبرى في تأطير المادة الحكائية ، وتنظيم الأحداث والحوافز، و كذلك بفضل بنيته الخاصة و العلائق التي يقيمها مع الشخصيات و الأزمنة...» [3] . فالفضاء هو مجموع العلائق التي يقيمها الفضاء مع الشخصيات و الأزمنة والأحداث فهو من العناصر ذات الأهمية في العمل الروائي.

إن النقاد العرب اختلفوا في تعريف الفضاء سواء من الناحية الشكلية أو المضمونية **" فعبد المالك مرتاض"** اثر استخدام مصطلح (الحيز) فعرفه كما عرفته المعاجم الحديثة أنه: « وسط منسجم وغير محدود تقع فيه الأشياء اللطيفة، الشديدة الحساسية...و له ثلاثة أبعاد » [4].

في « حين استخدم : **"عبد الحميد بورايو"** مصطلح (الحيز) من خلال جمعه بمصطلح المكان في دراسته (المكان و الزمان في الرواية الجزائرية)» [5].

---

(1)- حميد لحميداني : بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي المركز الثقافي ، الشروق بيروت ، لبنان، ط 1، 1991 ، ص 53

(2)- فيصل الأحمر : معجم السيميائيات، دار العربية للعلوم ناشرون ، لبنان ط 1، 2010 ، ص123

(3)- حسن بحراوي :بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية) المركز الثقافي بيروت، لبنان ط 1، 1991 ، ص 20

(4)- عبد الملك مرتاض :النص الأدبي من أين والى أين؟ ، ديوان المطبوعات ، الجزائر ،1983، ص 101

(5)- شريبط أحمد شريبط :بنية الفضاء في رواية غدا يوم جديد ، وزارة الاتصال و الثقافة ، الجزائر(عنابة)، ع :155 1997 ، ص 151، نقلا عن فيصل الأحمر ، معجم السيميائيات – ص 124

مما سبق نلاحظ اختلاف النقاد في إعطاء مفهوم للفضاء. منهم من جمع بين الفضاء و المكان، وهناك من أطلق عليه مصطلح المكان الحيز.

وإن التعامل مع الفضاء بوصفه عنصرا بنائيا يدفع إلى البحث عن الكيفية التي يتم فيها عرضه للقارئ وتمثيله في شكل معين يجعل النص الذي ينتجه يتميز، وتعتبر لغة الوصف أهم وسيلة يعتمد عليها الروائي لربط القارئ بفضاء الرواية فالروائيون يميلون إلى وصف الأشكال و الألوان وجميع الجزيئات وصفا دقيقا يوهم القارئ أن الديكور المصور في الرواية هو ديكور حقيقي.

و هكذا فالفضاء له دور في تشكيل النص الروائي من خلال مستوياته المختلفة كالواقع و التخيل واللغة فالدلالات التي ينتجها الفضاء تساهم في الربط بين النص و القارئ.

وعادة ما يتداخل مفهوم الفضاء بمفهوم المكان ،لذا سنحاول معرفة الفرق بينهما، وسنتطرق إلى مفهوم المكان إلى جانب مفهوم الفضاء الذي تناولناه سابقا فما مفهوم المكان لغة واصطلاحا ؟ .

2- مفهوم المكان:

لفظة المكان تثير دلالات و أبعاد، تنطوي على جملة من المفاهيم منها المفهوم اللغوي و المعجمي المجرد من القرائن الدلالية، و منها المفهوم الفلسفي، الذي يتكئ على المفهوم العلمي الدقيق ، كما تتداخل معه المفاهيم الرياضية و الفيزيائية في أحيان كثيرة، ومنها ما هو أدبي يتجلى في الأجواء التي تشكلها النصوص في نسجها و توظيفها له، ما مدنا بدلالات إيجابية رمزية لها أبعاد شتى[1] . وسنقف عند هذه المفاهيم والأبعاد لفهم معنى المكان و دلالاته.

[1]- ينظر باديس فوغالي : الزمان و المكان في الشعر الجاهلي ، علم الكتب الحديث الأردن،ط 1، 2008 ،ص 169.

أ- لغة :

جاء في لسان العرب مادة(كَوَنَ) المكان: «هو الموضع والجمع أمْكِنَةٌ وأمَاكِنْ ، توهموا الميم أصلا حتى قالوا: تمكن في المكان..إلبمكان اشتقاقه من كَانَ يَكُونُ ولكنه لما كثر في الكلام صارت الميم أصلية.... والمكَانَةُ: المنزلة، وفلان مكين عند فلان بين المكانة و المكانة الموضع»[1].ولكنه أعاد الحديث عنه في الجزء(كَنَ) فقال :« **"أبو منصور"** المكان و المكانة واحد، **"الليث"**: مكان في أصلتقدير الفعل مفْعَلَ لأنه موضع لكينونة الشيء فيه .... قال: الدليل على أنالمكان مَفْعَلَ أن العرب لا تقول في معنى هو مني مكان كذا إلامَفْعَلَ كذا و كذا بالنصب ،**"ابن سيده"**: و المكان الموضع، و الجمع أمكنة، و أماكن جمع الجمع،قال **"ثعلب"** يبطل أن يكون مكان فعالا لأن العرب تقول:كن مكانك وقم مكانك واقعد مقعدك فقد دل هذا على انه مصدر من كان أو موضع منه قال: وإنما جمع أمكنة فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصلية»[2].

و يذهب صاحب تاج العروس إلى المعاني نفسها في الجذرين (مكن و كون). [3]

وقد ورد في منجد الإعلام «مَكُنَ مكانة عند الأمير إرتفع وصار ذا منزلة، المكان،جمع أمكنة و أمكن و جمع الجمع أماكن: "هذا مكان هذا" أي بدله ، يقال امش على مكانتك أي برزانة»[4]. و المكان هو موضع الشيء لقوله تعالى:«فحملته فانتبذت به مكانا قصيا»[5].

و من خلال ما تمّ عرضه من تعريفات حول المكان لغة، فإننا نجد أن هذه التعاريف الموجودة في المعاجم و القواميس تتوافق حول مادة"كون" و ما يتفرغ عنها من ألفاظ كـــ:"كون ومكانة" وغير ذلك من المشتقات نصل الى أن المكان لدى اللغويين هو الموضع المشغول و الذي يدل على الخلق و الموضع، والمنزلة.

---

(1)- ابن منظور:لسان العرب، مادة(كَوَنَ) ، ج 13 ص .136

(2)- لسان العرب. المد السابع. تحقيق عامر احمد حيدر ، مراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 2005، ص 995.

(3)- تاج العروس، المد الثامن، ص 34 – 95.

(4)- المنجد في اللغة والإعلام ،دارالمشرق ، بيروت ،ط 4 ، 2003 .ص 29.

(5)- سورة مريم. الآية:22

ب ـ اصطلاحا:

اهتم الأدباء و الفلاسفة بمصطلح المكان، فحاولوا تقديم تعريف وافي له، فتقاربوا في وجهات النظر حول ماهيته ، واختلفوا في بعض التفاصيل.

فمن منظور الفلاسفة نجد:" حسن مجيد الربيعي" في كتابه المرسوم بـــ **"نظرية المكان في فلسفة ابن سينا"** يستحضر جملة من التعريفات لأهم الفلاسفة الغرب المنتمين إلى المدرسة القديمة و الحديثة و المعاصرة و: « **أفلاطون** : يعرف المكان بأنه ما يحوي الأشياء، ويقبلها ويتشكل بها.

إقليدس: المكان عنده ينبغي أن يكون ذا ثلاثة أبعاد هي الطول، العرض، العمق. **ديكارت [dicart]** : وهو احد فلاسفة العصر الحديث، يرى بدوره أن المكان يمتد في الأبعاد الثلاثة التي حددها إقليدس ،في حين يعتبر **" سبينوزا" [spinoza] ومالبراش[malbrach]** المكان غير متناهي»[1].

أما الفلاسفة المسلمين،فنلفيهم قد أفادوا من فكرة أرسطو في إقراره لوجود المكان وعدم تأثره بالأجسام المتمكنة فيه ،يقول الكندي:"نحن ما يحوي الجسم مكانا"[2]، و يلخص أبو حيان التوحيدي تعريفه للمكان في قوله مجيبا عن سؤال طرحه حول ماهية المكان: «هو حيث التقى الاثنان المحيط والمحاط به»[3].

كما يقف**" أبو حامد الغزالي"** من فكرة المكان، موقف الفلاسفة الذين سبقوه، و الذين اجمعوا على أن المكان هو السطح الحاوي للجسم المحوي ،هذا من المنظور الفلسفي،أما من

---

(1)- باديس فوغالي: الزمان و المكان في الشعر الجاهلي، ص 171. نقلا عن حسين مجيد الربيعي :نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ،دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ،ط 1 ،1987 ص 19 .

(2)- باديس فوغالي : الزمان والمكان في الشعر الجاهلي ،ص 172،نقلا عن رسائل الكندي الفلسفية: ترجمة عبد الهادي أبو ريدة ، ج 2، مصر 1953، ص 32.

(3)- المرجع نفسه ص 172.

المنظور الأدبي فينبغي الإشارة أولا الى الاهتمام بالمكان ، كعنصر من عناصر البناء الفني للعمل الأدبي الإبداعي، التي ينهض عليها كالشخصية والحوار والوصف و السرد و غيرها[1].

و ها لاشك فيه أنّ المكان في النص الإبداعي لا قيمة له ما لم تربط به الحياة، سواء أكانت هذه الحياة حياة البشر أم حياة الحيوان، فأي مكان لم تخترقه الحياة ليس بمكان، فالمكان هو الموضع الذي تدب و تزخر فيه الحياة لتوفره على العناصر الأساسية، ولا ينهض و لا تتجلى قيمته إلا من خلال تجربة معاشه، و في هذه الحالة فإنّ الأديب بما لديه من أحاسيس مرهفة يمكنه أن يحفظ الأمكنة من النسيان فتبقى معالمه تتجدد في وجدانه. [2]

فيصبح المكان بهذا التصور كيانا اجتماعيا يمثل خلاصة تجارب الإنسان ومجتمعه ، لذا لم يبق في نظر الدارسين مجرد رقعة جغرافية فارغة بل يمتلئ بالخبرة الإنسانية، إنه حامل لتجربة إنسانية تخزنها ذاكرة الإنسان، تظهر حسب المواقف الحياتية، يوظفا الروائي في رواياته، إن مكانا كهذا لم يمكن النظر إليه كبناء أجوف و فراغ، إنما ننظر إليه على أنه نشاط إنساني متصل بالسلوك الإنساني مثقل بعواطف و مشاعر و هموم و انفعالات الذين أقاموا فيه أو مروا به.[3]

فالمكان يترك بصمة في حياة الشخصية وفي ذاكرتها و أخلاقها و عاداتها و لهجتها، و هذا الرأي يؤكده الناقد **"ياسين النصر"** فيلخص مفهوم المكان **:**«بأنه الكيان الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان و مجتمعه، لذا فشأنه شأن أي إنتاج اجتماعي أخر يحمل جزء من أخلاقيته و أفكار و وعي ساكنيه. لذلك لا يظهر في النص كشيء معزول إنما كنشاط إنساني مرتبط بالسلوك البشري»[4].

---

(1)- ينظر مقاصد الفلسفة: ترجمة سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ط 2، ص 317، نقلا عن باديس فوغالي : الزمان و المكان في الشعر الجاهلي ، ص173.

(2)- ينظر المرجع نفسه ،ص 170، 171

(3)- ينظر الشريف حبيلة : الرواية والعنف ، عالم الكتب الحديث الأردن،ط 1، 2010 ،ص 24.

(4)- ينظر الشريف حبيلة: بنية الخطاب الروائي ، عالم الكتب الحديث الأردن،ط 1، 2010 ،ص 190،191.

وفقا لما سبق، فالمكان ليس فقط موقعا للحدث، و لابعدا جغرافيا للشخصيات، فقد « تتجلى في كثير من الأعمال الروائية بطلا رئيسيا ينطلق من خلاله لبلورة أفكاره و توضيح وجهة نظره »[1].

إضافة لهذا فهناك من يراه هوية العمل الأدبي الذي إذا افتقد المكانية افتقد خصوصيته،ومن ثم أصالته[2].

أما "**حميد لحميداني**" فقد نظر إلى مسألة المكان من خلال ربطه بمجموعة من المصطلحات المتعلقة بالفضاء الجغرافي« هو مقابل لمفهوم المكان و فضاء النص مكاني أيضا، غير انه متعلق فقط بالمكان الذي تشغله الكتابة الروائية والفضاء الدلالي و الفضاء كمنظور »[3].

كما أنّ أول من تنبه إلى أهمية المكان في الإبداع الروائي هو "**غاستون باشلار**" في دراسته لشعرية الفضاء، إذ قسّم الأمكنة إلى : « المكان المجازي : هو المكان الذي لا يتمتع بوجود حقيقي بل هو اقرب إلى الافتراض و هو مجرد فضاء تقع أو تدور فيه الأحداث.

المكان الهندسي: هو المكان الذي يظهر في الرواية خلال وصف المؤلف للأمكنة التي تجري فيها الحكاية واستقصاء التفاصيل دون أن يكون لها دور في جدلية عناصر العمل الروائي الأخرى.

مكان العيش:المكان الأليف و هو الذي يستطيع أن يثير لدى القارئ ذاكرة مكانه »[4].

انطلاقا مما رصدناه من آراء ومفاهيم لفلاسفة و أدباء ، نجد أن لفظة " مكان" لم تتغير دلالاتها كإطار و محيط جغرافي إلا من خلال اتصالها بالنص الأدبي و ارتباطها بكيان الإنسان الذي أضاف لها خصائص لم تكن تكتسبها من قبل، و المكان في الأدب أو التجربة الإبداعية بوجه اخص، هو الذي يشعرنا بوجوده قد يتداخل إحساسنا به تداخلا يصعب عزلنا عنه.

---

(1)- **هيام شعبان** : السرد الروائي في إعمال نصر الله ، دار الكندي الأردن ، د ط، ، 2004 ،ص 277.

(2)- ينظر صالح إبراهيم : الفضاء ولغة السرد ، المركز الثقافي العربي،بيروت، ط 1 ، 2003،ص13 .

(3)- حميد لحميداني : بنية النص السردي ،ص 62.

(4)- **غاستون باشلار** : جماليات المكان ، تر: غالب هلسا،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 2، 1984 ،ص 22- 35.

قد يتداخل مفهوم الفضاء بمفهوم المكان فمنهم من لم يفصل بينهم وهناك من ميز بينها واعتبر الفضاء أوسع من المكان لذا سنتطرق لعلاقة الفضاء بالمكان .

3-علاقة الفضاء بالمكان:

نظرا للالتباس الذي وقع بين مصطلحي الفضاء و المكان فقد تضاربت الآراء حوله، فمنهم من يفصل بينهما، فنجد"حميد لحميداني" قد ذهب للفصل بين هذين العنصرين يقول:« لم نصادف ضمن الأبحاث التي اطلعنا عليها دراسة تتميز بشكل دقيق بين الفضاء و المكان ويبدو أن التمييز ضروري».[1] لذا تناوله **"حميد لحميداني"** على انه « العالم الواسع الذي شمل الأحداث الروائية» [2] . فالفضاء أوسع مجالا و اشمل من المكان الذي يضيق مقارنة بالفضاء بل انه الجزء المكون له.

و الفضاء من وجهة نظر فلسفية:« سابق للأمكنة، إنه ذو أسبقية تجعله موجودا من قبل يستقبل تلك الأمكنة، فتأتي لتجد لها حيزا من هذا الفضاء»[3]. ذهب **" حميد لحميداني"** بالقول أن الفضاء يتسع ليشمل العلاقات بين الأمكنة حيث أن الفضاء في الرواية أوسع و أشمل من المكان. إضافة لهذا فإن **"حميد لحميداني"**، أشار إلى أن الفضاء أشمل و أوسع من المكان،مادامت الأمكنة في الرواية غالبا ما تكون متعددة و متفاوتة فإن: فضاء الرواية هو الذي يلفها جميعا،إنه العالم الواسع الذي يشمل مجموعة الأحداث الروائية،فالمقهى أو المنزل أو الساحة، كل واحد منها يعتبر مكانا محددا،و لكن إذا كانت الرواية تشمل هذه الأشياء كلها فإنها جميعا تشكل فضاء الرواية[4].

إنّ الفضاء وفق هذا التحديد شمولي يشير إلى المسرح الروائي بكامله، و المكان يمكن أن يكون فقط متعلقا بمجال جزئي من مجالات الفضاء الروائي[5].

---

(1)- حميد لحميداني: بنية النص السردي،ص 61 .

(2)- حميد لحميداني :بنية النص السردي ، ص 63

(3)- فيصل الاحمر: معجم السيميائيات،ص 126 .

(4)- ينظر حميد لحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 63.

(5)- ينظر حميد لحميداني :بنية النص السردي، ص 63 .

أما **"عبد المالك مرتاض"** فيرى أن « المكان يدل على ما هو جغرافي ماثل بتفاصيله، أما الحيز أو الفضاء، فهو يدل على ما غير ذلك في النص ويعني به حيز النص المشكل من سرد و وصف و حوار و ما إلى ذلك»[1].

من هنا يمكن القول، إن المكان هو مكون الفضاء و أن مجموع الأمكنة و الشخصيات و الزمان و السرد و الحوار و الوصف جميعها يطلق عليها اسم فضاء الرواية.

وقد أقر "عبد المالك مرتاض" في دراسته السيميائية التشريحية لقصيدة "أشجان يمانية" أن الحيز ليس مكانا[2].

كما أشار للفرق بينهما في قوله: « فالمكان ما عني الحيز جغرافيا حقيقيا، و الحيز كل فضاء جغرافي أو أسطوري أو كل ما يرد عن المكان المحسوس بالخطوط و الأبعاد و الأحجام و الأثقال و الأشياء المجسمة من الأشجار و الأزهار»[3]

و لقد حاول النقاد الغربيون التمييز بين المكان والفضاء ، إذ هما يصبان في مفهوم المكان و هو الحيز، المجال، الموقع و الفضاء، فالمنظرون الألمان ميزوا بين المكان و الفضاء حيث عنوا بالأول ما يمكن تحديده وضبطه، وقصد بالثاني الفضاء الدلالي الذي تؤسسه الأحداث و الشخصيات في الرواية[4].

من خلال ما تم تقديمه يتضح لنا أن المكان ما هو إلا جزء من الفضاء،و أن أي رواية لابد أن تتوفر فيها ثنائية (الفضاء) و (المكان) ، و بناء على الآراء السابقة حول التمييز بين الفضاء و المكان،نجد أن هناك من اعتبر الفضاء أوسع من المكان، في حين اعتبره آخر معادلا له، بينما هناك من فرق بينهما و رأى أن لكل منهما سمات تميزه عن غيره. و الفضاء في الرواية أوسع من المكان .

---

(1)- باديس فوغالي: الزمان و المكان في الشعر الجاهلي، .،ص 177 .

(2)- عبد المالك مرتاض: بنية الخطاب الشعرية، دار الحداثة، بيروت، ط1، 1985، ص 75 .

(3)- عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي، دار الحداثة، لبنان (د ط)، 1986، ص 245.

(4)- ينظر باديس فوغالي: الزمان و المكان في الشعر الجاهلي، علم الكتب الحديث الأردن ، ط 1، 2008،ص 175 .

4- أنواع الفضاء :

يتخد الفضاء أشكالا متعددة من خلال علاقته ببنية النص الروائي وتتمثل في أربعة مستويات ,هي الفضاء الجغرافي **Espace géographique** كما يسميه بورنوف **[bornof]** و الفضاء النصي **Espace textuel** كما يراه **ميشال بوتور [M.Buttor]** والفضاء الدلالي **Espace sémantique** كما يحدد جيرار جينيت **[Gerard Genette]** و الفضاء كمنظور أو كرؤية, وكل هذه الأفضية يمكن أن تتحدد مع بعضها على صورة تكاملية وتشكل لنا معنى شامل للفضاء[1] .

1- الفضاء الجغرافي:

وهو مقابل لمفهوم المكان، و يتولد عن طريق الحكي، بمعنى أنه «المساحة التي يتحرك فيها الأبطال أو يفترض أنهم يتحركون فيها كالبنايات و الطرق التي يستحضرها الروائي في رواياته»[2].

أما جوليا كرستيفا **[j Kristéva]** لما تتحدث عن الفضاء الجغرافي إنما تقصد أو ما تصطلح عليه بالإيديولوجيم **[Idiologéme]** الذي تعني به الطابع الثقافي العام، الغالب في عصر من العصور و لذلك ينبغي للفضاء الروائي أن يدرس دائما في تناميته، أي في علاقته مع النصوص المتعددة لعصر ما أو حقبة تاريخية محددة. [3]

2- الفضاء النصي:

يقصد به الحيز الذي تشغله الكتابة،باعتبارها أحرف طباعيه على مساحة الورق، ويشمل ذلك طريقة تصميم الغلاف ووضع المطالع وتنظيم الفصول، وتغيرات الكتابة المطبعية وتشكيل العناوين وغيرها، فالفضاء النصي هو أيضا فضاء مكاني لأنه لا يتشكل عبر مساحة الكتاب وأبعاده الثلاثة التي حددها **"ميشال بوتور"** أثناء تقديمه تعريفا هندسيا خالصا للكتاب إذ يقول : « إن الكتاب الذي تعهده اليوم،هو وضع مجرى الخطاب في أبعاد المدى الثلاثة،وفقا لمقياس مزدوج هو طول السطر، وعلو الصفحة، أما البعد الثالث فهو سمك الكتاب الذي يقاس عادة

(1)- ينظر إبراهيم عباس : الرواية المغاربية تشكل النص السردي في ضوء البعد الايديولوجي دار الرائد للكتاب ،الجزائر ،ط1 ،2005 ص 216.

(2)- باديس فوغالي : الزمان والمكان في الشعر الجاهلي ،ص 217.

(3)- ينظر حميد لحميداني : بنية النص السردي، ص 54.

بعدد الصفحات، غير انه مكان تتحرك فيه على الأصح عين القارئ، إذا بكل بساطة هو فضاء الكتابة الروائية باعتبارها طباعة.» [1]

الفضاء النصي يمثل الفضاء الذي تشغله الكتابة باعتبارها أحرف طباعية على مساحة الورق يشمل هذا الفضاء الغلاف وتنظيم الفصول وتشكيل العناوين وكذلك الرسومات التي تكون على غلاف الكتاب .

3- الفضاء الدلالي:

يشير إلى الصورة التي تخلقها لغة الحكي، وما ينشأ عنها من بعد يرتبط بالمجازية وما لها من أبعاد دلالية[2]،فلغة الأدب لا تقوم بوظيفتها بطريقة بسيطة إلا نادرا، فليس للتعبير الأدبي معنى واحد،ذلك لأنه لا ينقطع عن أن يتضاعف و يتعدد إذ يمكن لكلمة واحدة مثلا أن تحمل معنيين،تقول البلاغة عن احدهما بأنه حقيقي،وعن الأخر مجازي،فالفضاء الدلالي يتأسس بين المدلول المجازي و المدلول الحقيقي، وهذا الفضاء من شأنه أن يلغي الوجود الوحيد للامتداد الخطي للخطاب، و الفضاء الدلالي عند جيرار جينيت ليس شيئا آخر سوى ما ندعوه عادة بالصورة حيث يرى أن الصورة هي رمز لفضائية اللغة الأدبية في علاقتها مع المعنى. [3]

هذا الفضاء يصعب تحديد أبعاده الفيزيائية لأنه يتجاوز المكان الطبيعي إلى مكان متعدد الدلالات، و الرؤى من خلال ارتباطه بالشخصيات و الأحداث و المواقف و المشاهد و هذا ما نجده في بعض النصوص الروائية المعاصرة. [4]

الفضاء الدلالي يتضح من خلال الدلالات و الأبعاد المجردة التي يتخذها المكان أو الفضاء كالبعد الاجتماعي أو السياسي و الفضاء الدلالي مرتبط التي تبدعها لغة الحكي .

---

(1)- حميد لحميداني : بنية النص السردي ،ص 55 – 56.

(2)- ينظر ابراهيم عباس : الرواية المغاربية، ص 217

(3)- ينظر حميد لحميداني: بنية النص السردي ص60،61.

(4)- ينظر مراد عبد الرحمان مبروك جيوبولوتيكا النص الأدبي، دار الوفاء الإسكندرية ، ط 1، 2002 ، ص 168.

4- الفضاء كمنظور أو كرؤية:

ومعناه الطريقة التي يستطيع الروائي"الكاتب" بواسطته أن يهمين على عالمه الحكائي بما فيه من أبطال يتحركون على واجهة تشبه واجهة الخشبة في المسرح. [1]

أي أنّ الفضاء هنا يستحيل إلى ما يشبه الخطة العامة للراوي أو الكاتب في إدارة الحوار،و إقامة الحدث الروائي،بواسطة الأبطال،حتى أن جوليا كريستيفا تشبّه الرواية في هذه الحالة بالواجهة المسرحية، فالعالم الروائي هنا بما فيه من أبطال و أشياء يبدو مشدودا إلى محركات خفية يديرها الراوي وفق خطة مرسومة، و الواقع أن ما تتحدث عنه جوليا كريستيفا هنا يشبه إلى حد بعيد ما يسمى بزاوية رؤية الراوي. [2]

يمثل هذا الفضاء رؤية الروائي للعمل وتحديد الطريقة والخطة التي تنظم بها الحوار ويحرك الأحداث بفعل الأبطال .

نستطيع القول أن هذه المستويات ضرورية، فكل مستوى تكملة للآخر لذلك على أي روائي استحضارها جميعا في رواياته.

5-أهمية المكان في الرواية :

للمكان أهمية كبيرة في بناء الحدث الحكائي،فلا يمكن تصور أحداث قصصية إلا بوجود مكان تنمو فيه و تتشعب، فتشخيص المكان هو الذي يجعل من الأحداث أو أحداث الرواية بالنسبة للقارئ شيء محتمل الوقوع، لذلك فالروائي دائم الحاجة إلى التأطير المكاني.

و هذا ما ذهب إليه " هنري ميتران**[Henri Mitteran]** عندما، اعتبر المكان هو مؤسس الحكي، لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة.

وفي الإطار ذاته يشير« "جيرار جينيت" إلى الانطباع الذي كونه " مارسيل بروست"**[Marsel Borost]** عن الأدب الروائي،إذ يمكن القارئ دائما من ارتياد أماكن مجهولة متوهما بأنه قادر

---

(1)- ينظر إبراهيم عباس : الرواية المغاربية ، ،ص 217.

(2)- ينظر حميد لحميداني: بنية النص السردي،ص 61 .

على أن يسكنها و يستقر فيها إذا شاء،و من هنا تتجلى أهمية المكان كعامل مساعد على إيصال الخطاب المنقول من أحداث الرواية إلى القارئ و إحداث انطباع لديه»[1].

« ولقد أعطى " هنري ميتران المثال ببلزاك **[Balzak]** الذي يصف شوارع حقيقية تجعل القارئ يقوم بعملية قياس منطقي،فمادامت هذه الأحياء و الشوارع حقيقية، فكل الأحداث التي يحكيها الروائي هي كذلك تحمل مظهر الحقيقة،إنّ الأمكنةوتواترها في الرواية يخلقان فضاء شبيها بالفضاء الواقعي، و هما كذلك يعملان على إدماج الحكي في نطاق المحتمل»[2].

كما أن المكان لا يشكل الفضاء الروائي فحسب، بل يؤدي دوره في العمل الأدبي كأي ركن أخر من أركان الرواية،و يخطئ من يفترض أنه تكوين جامد محايد[3].

فهو يربط أجزاء العمل الأدبي ببعض، و هو عنصر فاعل و مكون جوهري من مكونات الرواية، و لا يقتصر دوره على أنه وعاء للشخصية وللحدث،بل يصبح صاحب السيادة المطلقة في إنتاج السرد و الحوار و الوصف[4]، و التي تعتبر من مكونات السرد التي لا ينبغي أن تنعزل عن الفضاء الروائي مثل الفنان المعماري يشيد فضاءه النصي وفق تصور محكم و إستراتيجية معينة، و إذا كانت اللغة وعاء الفكر،فالمتخيل الحكائي يعد وعاءه في هذا الفضاء[5].

من هنا فالمكان يكتسب أهمية بالغة كونه يعد فضاء محيطا بجميع أحداث الرواية،من ناحية أخرى،فأهمية المكان أصبحت تتمحور حول معناه كفضاء يحمل دلالات لا كمكون جغرافي، لأن هذا الأخير يزول بمجرد تخطي الإنسان حدوده،بينما يحتفظ الشخص بالتجارب و الذكريات التي عاشها في هذا المكان.

---

(1)- إبراهيم عباس: الرواية المغاربية، ص 219

(2)- حميد لحميداني: بنية النص السردي، ص 65.

(3)- ينظر صالح إبراهيم : الفضاء و لغة السرد، ص 109.

(4)- ينظر هيام شعبان : السرد الروائي في أعمال نصر الله، ص 277.

(5)- ينظر جوزيف إكيسنر: شعرية الفضاء الروائي، ترجمة لحسن أحمامة، إفريقيا الشرق، بيروت، د ط، ص 10.

6-أهمية الفضاء:

إنّ المكانة التي احتلها الفضاء ضمن بنية الرواية فيما بعد نبهت مختلف الباحثين إلى التقصير الذي عومل في به الرواية إلى أن جاءت دعوات حديثة أخذت تنوه بأهميته، و لقد تبلورت بصفة جدية على يد دعاة الرواية الجديدة و هذا وفقا لما ذهب إليه معظم النقاد في تقييم نتائج هذه الحركة على بناء الرواية، حيث تحولت الأنظار بعدها إلى المكان أو الفضاء.

إنّ المكان لصيق بالإنسان و هو الصورة التي تعكس وجوده، فهو العالم الخارجي الذي يجسد الإحساس بالأشياء، فتألفه و يألفها فتنبعث الصور عن طريق تعابير مختلفة: « فكثيرا ما يتحول المكان إلى شخصية أو جنس من الشخصية تتحدث وتتحرك و تضير وتنفع»[1]، و الفضاء على هذا النحو صورة لمتجدد،تتجاذبه و تتحرك فيه الزوايا المختلفة، يقول بحراوي: « يمكننا النظر إلى المكان بوصفه شبكة من العلاقات و الرؤيات ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء »[2].

ومن ثم نجد أن الفضاء لا يعتمد في شكله على المكان و حسب، إنما يعتمد على حضور اللبنات المهيأة التي تتجمع لتعكس مظاهره و تؤالف بينها إذ « المكان يشكل الوعاء الذي يجمع شتات النص و يربط وحداته و عناصره و يمثل جزءا هاما من رؤية الكاتب للعالم »[3].

كما يقول **"غالب هلسا"** في مسالة المكان و في بيان أهميته في تشكيل العمل الأدبي: « أنه حيث يفتقد المكانية فهو يفقد خصوصيته و بالتالي أصالته » [4].

إنّ هذا الالتفات الكبير إلى المكان جعل الباحثين يعيدون النظر في تقييمه وينظرون إليه من زاوية مختلفة ،لأن قيمة المكان الفنية لا تمكن في حدوده الحقيقية البحتة إنما تتحقق من خلال المكان المفترض أو الفضاء المعروض من زاوية الراوي والشخصيات والحوادث و الأفكار و

---

(1)- عبد الملك مرتاض : بنية السرد في الرواية العربية الجديدة،(الجنازة نموذجا)مجلة تجليات الحداثة معهد اللغة و آدابها، وهران، العدد3، يونيو، 1994 ، ص 11.

(2)- حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي(الفضاء،الزمن، الشخصية) المركز الثقافي،بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1990، ص 32.

(3)- هيام شعبان : السرد الروائي في أعمال نصر الله،دار الكندي، د ط، 2004، ص 290.

(4)- غاستون باشلار : جماليات المكان، ص 5 ، 6 .

تفاعلها جميعا فيظهر المكان « كما لو كان خزانا حقيقيا للأفكار والمشاعر و الحدوس ،حيث تنشأ بين الإنسان و المكان علاقة متبادلة يؤثر فيها كل طرف على الآخر»[1].

لقداتخذت العودة لهذا المكون مجاري مختلفة و سبلا متباينة أدت إلى تعاظم البحث فيه لما يستدعيه من حضور في النُظم جميعها فنراه في الحدث و الشخصية و الزمن و الوصف و السرد... هذه الأنساق تجتمع لتشكل لنا الفضاء، فيكون:« الفضاء الروائي أمكنة الرواية جميعها ... بل يتسع الإيقاع المنظم للحوادث التي تقع في هذه الأمكنة و لوجهات نظر الشخصيات فيها»[2].

لقد مكنت فاعلية الفضاء الباحثين من الوقوف عند جميع تحولاته في انفتاحه و انغلاقه في حركيته وجموده، في ماضيه وحاضره في تقاطبه ومن خلال التقلبات الاجتماعية،النفسية، الأخلاقية و الإيديولوجية و الدينية، لقد أصبح المكان أو الفضاء هو عالم الروائي.

(1)- حسن بحراوي : بنية الشكل الراوئي،ص 31.

(2)- سمر روحي الفيصل : الرواية العربية، البناء و الرؤيا ،مقاربات نقدية،من منشورات اتحاد كتاب العرب ،دمشق ،2003 ، ص 71.

الفصل الثاني

لقد أصبح الفضاء محور عمليات القراءة والتأويل للرواية المعاصرة فالفضاء لا تحده الحدود فهو ملك الجميع ،ولما نتحدث عن الرواية فإننا نتحدث عن نوعين من الأفضية فهناك الفضاء المفتوح والفضاء المغلق ، إن الرواية قد تبدأ بفضاء واحد تتواصل في فضاءات متباينة

وتتوزع الأحداث في تلك الفضاءات . فالفضاء يكون مغلقا حين يظل الحدث والشخوص يتحركون في إطار محدد في المقابل يوظف كثير من الروائيين في رواياتهم فضاءا مفتوحا يترك للأبطال حرية الذهاب والإياب[1]. فالفضاء المفتوح حيز مكاني خارجي لا تحده حدود، وغالبا ما يكون لوحة طبيعية في الهواء الطلق ، أما الفضاءالمغلق فهو فضاء محدود يولد الخوف والكره لشخصيات الروائية. وسنحاول من خلال دراستنا لرواية "جمان وعنبر" الكشف عن الفضاء المفتوح والمغلق وعن دلالتهما في الرواية .

أولا الفضاء المفتوح :

إن الفضاء المفتوح هو الذي يمنح القدرة على الحركة و الانتقال ولكنه محدد بحدود معينة تسمح للشخصية بالحركة فيه بحرية إذ تقوم الشخصية بفعل معين ضمن فضاء يسمح لها بالحركة فيه بحرية،وللفضاء المفتوح أهمية في تشكل أحاسيس وانفعالات الشخصية فمن خلال إحساسها بالانتماء لهذا الفضاء.وبخصوص رواية "جمان وعنبر"فيمكن تحديد الفضاء المفتوح فيما يلي :

1- المدينة العتيقة:

من الأفضية المفتوحة في رواية "جمان وعنبر" المدينة العتيقة حيث تعتبر البيت ،الملجأ والموطن والفخر والانتماء ومدينة ضاربة في القدم والتاريخ وهي مدينة المقاومة، فالمدينة العتيقة هي فضاء مفتوح جعله الراوي فضاء رحب ساحر متعدد الدلالات والإيحاءات.

فالمدينة العتيقة بالنسبة لأبطال الرواية هي فضاء رحب مليء بالراحة والآمان والتاريخ، وهي روح الإنسان بالنسبة لهم، فلقد جاء على لسان حورية أحد أبطال الرواية وهي تروي لصديقها آدم عن المدينة العتيقة : «ستنطلق جدتي في حديث مطول ... إن شئت بعض من ذكرياتها، إن شئت مقتطفات من فلسفتها في الحياة العامرة بالأحداث التي عاشتها ،وإن شئت

[1]- ينظر جون بيار كولدنستين ، الفضاء الروائي ،ترجمة : عبد الرحيم حزل ، ص 23 .

تأملات بصوت عال لعجوز أمية لكن خبرت الحياة وان شئت أيضا آيات من عشقها للمدينة العتيقة وآل المدينة»[1]، فعشق شامة البية للمدينة العتيقة راسخ في داخلها وفي عقلها وفي روحها فشامة البية تعشق المدينة العتيقة فهذه العجوز ترعرعت في المدينة العتيقة وعشقتها فالمدينة العتيقة هنا هي فضاء حامل لقصة عشق أبدي.

و نجد حورية في مقطع أخر تفتخر بمدينتها بقولها «مدينتي تحضن تاريخها بهزائمه و انتصاراته بأحزانه وأفراحه، كثيرا ما انساب عبر تلافيف الماضي لأعيش تفاصيل بنائها وتشييد عمارتها وحركات ترميمها في ما تلا من عصور »[2].

فالمدينة لحورية هي التاريخ المليء بذكريات وتفاصيل الماضي بكل أنواعها تحمل بداخلها كل العصور بكل هزائمه وانتصاراته ويظل تمسك الإنسان بالمكان ، لأن هذا الأخيرهو في صورته وماضيه وطفولته وأصالته .

و في هذا المقطع الذي جاء على شكل حوار داخلي لآدم صديق حورية وهو يزور المدينة العتيقة:

«لا بد كي تنفتح أمامك الأمكنة أن تتوهج في دواخلك الرغبة ، وأن يكون لديك من التوق والشوق ما يكفي لتقدمه مهرا نبيلا لهذه المدينة العريقة عندها سترفع المراتيج عن بواباتها الخفية أمام عينيك أسفارها بمضان السير والوقائع من حيوات أولئك الذين عمروها ومضوا... » [3].

إن هذا المقطع يحمل في طياته العديد من الدلالات توحي بمدى تعلق الشخصيات الروائية بها.

فالمدينة العتيقة هي تماما كذلك المحبوبة التي يجب أن تقدم لها كل طقوس الحب المفعم بالعطاء والوفاء والعشق والوله كي تمنحك نفسها بكل حب ،فكذلك المدينة العتيقة لن تمنحك نفسها وحبها وعشقها ما لم تستشعر منك ذلك الانتماء ،حينها فقط ستنفتح أمامك لتحتضنك بكثير من الحب والانتماء .

---

[1] – مسعودة أبو بكر :جمان وعنبر ،دار سحر للنشر،د ط ،2005 ، ص 21 .

[2] – الرواية ص 89.

[3] – الرواية ص 16.

و المدينة العتيقة هي الماضي ،وهي حافظة التاريخ من الاندثار:

«يذكر ادم سؤاله لها:

- ألا ترين أنك مشدودة جدّا إلى ماضي المكان ؟

- أحتفي بتطريزات الماضي فيه ... جعلها الأمس قائمة لتمتد في الحاضر تقارع السنين ، المدينة العتيقة احتفت بي وأحاطتني ساعة مولدي ، لقّمتني روائحها في نفس الآونة التي فقدت فيها أمي، دثرني عبق تاريخها العريق ... ليلتها رأت شامة البية في منامها "عزيزة عثمانية" في ثوبها الأبيض الفضفاض تمد لها بقدح من اللبن هامسة وصوتها يشرخ هدوء الليل الحزين" اسقي البنت من هذا ... "كذلك حكت شامةلكل من جاء يعزّيها في أمي »[1]

فالمدينة العتيقة فضلا على أنها المعشوقة هي الأم التي تحتضن بحب وتحنو على أبنائها فهي البديل عن الأم ،بل هي معادل لها .

انها الرحم التي تحتضن الجمال ،إنها الانتماء والحب والعشق والتاريخ والماضي الجميل ،لذا تخشى حورية على المدينة العتيقة أن تفقد جماليتها وسط حاضر لا تشعر بجماليته ووسط حسابات سياسية أفقدتها روحها الجميلة :

« جعلت مني المدينة حورية المهووسة بالجمال تسعى جاهدة للانتصارلما تشوّه من معالمه ، يحدث كثيرا أن اسمع أنين الحجارة وهي تلطخ بالقمامة ليلا ، وهي تسقط ملاطها ، يتهدّدها البلى بالمحق ، فأسعى جهدي لأصرخ بدل الحجارة و تنتهك ...لكم أخشى على مملكتي مما يتهدد كل المدن العريقة العتيقة في الدنيا ... لقد أصبح التاريخ و الجغرافيا يكتسبان ملامح الأمزجة الراهنة، السياسية منها تحديدا... تمحى حدود الخرائط في جهات الكون الأربع ويعاد تصميمها حسب قوانين جديدة...قوانين الغالب و المغلوب... »[(2)].

إن حورية رغم كل شيء لا تزال متمسكة بالمدينة التي ولدت فيها وترعرعت وتربت في كنفها وتشعبت بروائح العنبر والمسك فيها ، واحتفت بماضيها وتاريخها ومعالمها إنها المدينة التي

[(1)] – الرواية ص 89.

[(2)] – الرواية ص 89.

علمت حورية معنى الجمال إنها مملكة حورية التي تخاف عليها من الخراب و الدمار إنها فضاء رحب لحورية فهي مملكتها المليئة بالحب و الجمال و التاريخ.

و أما العم حمادي العوادجي و هو واحد من رموز المدينة العتيقة الذي ظل مرتبطا بها و بكل ما فيها من حكايات :

«أتكون مدينتك هذه مرصعة بالدّر و الياقوت؟ و هل شيّدت عمائرها بغير الحجر و الجص و الرخام؟ ها أنّ الرّخام و المرمر يحيطان بنا في الدور المنسية.

- لا درّ و لا ياقوت... أو تدري ما يقول الشّاعر ... ولا أظن فهمه يصعب عليك:

"أعذب المدن

ليست تلك المسورة بلبنة من الفضة.

و لبنة من الذّهب و لا تلك التي تتوهّج الجواهر

الثّمينة من شرفاتها العالية

أعذب المدن

هيتلك المسوّرة بالياسمين..."» [1].

إن هذا حوار بين حورية و العم حمادي العوادجي وهي تحاول إقناعه بالرحيل معها من المدينة العتيقة لكنها تعلم جيدا أن هذا لن يحدث لتعلق العم حمادي بالمدينة العتيقة لذا عندما سألها عن مدينتها أتكون مرصعة بالرخام و الياقوت أراد إخبارها بأن مدينته مدينة الأصالة والتاريخ فحورية مقتنعة بأن حب عم حمادي للمدينة العتيقة يوازي قول الشاعر بأن المدينة ليست بفخامتها و جواهرها بل بعمق تاريخها و أصالتها وعمق إحساسنا بالانتماء إليها فهي الهوية والموطن للعم حمادي .فالمدينة العتيقة على مستوى الرمز تمثل الهوية فهي المرآة التي تنعكس عليها صورة الذات في بعدها الإنساني « فالمدينة هي الفضاء الذي تتشكل فيه عواطفنا وأفكارنا وأحلامنا، وأيضا هزائمنا وخيباتنا ، المدينة هي التي تحدّد نظرتها بما يحيط بنا و العالم »[2]

من المدن العتيقة مدينة مراكش التي زارتها بطلة الرواية و هي ثريا و التي سحرت بجمالها

---

[1] – الرواية ص29، 30.

[2]– صالح ولعة : المكان ودراما في رواية " عالم الخرائط " لجبرا إبراهيم جبرا وعبد الرحمن منيف ، مجلة التبيين ،الجاحظية ، الجزائر ، 2000. ص55

« تظل مدينة مراكش، مدينة السندباد والعالم المشحون بالعجائبي ....بحكايا شهرزاد. تحافظ ساحة الفناء على مشاهدها التقليدية الفلكلورية التي لا تملّها النفس، تنبهر بها عند كل زيارة حتى أنّ الحوّاء لم يكبر مع السّين و الرّاقصين يتابعون رقصة بدأت و مازالت تمتد منذ فجر التاريخ ، الألوان تتنافر و تتألف، و أجيال الرّاقصين تتواتر دون أن تفرغ الحلقة، كالشجرة العجيبة ما إن تسقط ورقة حتى تنبت أخرى إذ هي دائمة الخضرة و التألّق، أنفلت من ربقة السّاحة المصطخبة إلى جوف المدينة. أمشي غير مسرعة في حاضرة السلاطين و أبتعد عن سورها الذي شيّد بالطوب و قد رمّم ما أتى عليه البلى... »[1].

إن مدينة مراكش هي مدينة تقع بالمغرب الأقصى و هي من أجمل المدن لأنها تحمل بداخلها رمزا تاريخيا و ثقافيا و أسطوريا فثريا ترى في مراكش مدينة تنفتح على العادات و التقاليد و تمسك بالأصالة و هي مدينة الحكايا و العجائب و مدينة الفن و التاريخ .

إن المدينة العتيقة في رواية "جمان وعنبر" هي فضاء مفتوح رحب مفعم بالجمال هي رحم التاريخ العتيق و السحر و الأصالة. فالمدينة العتيقة هي الماضي الجميل وهي التاريخ بكل انتصاراته ،هي الأم والرحم الذي احتضن التاريخ وهي المحبوبة التي تمنحك العشق الأبدي وهي تلك الأسطورة الجميلة التي تبهرك بعوالمها العجائبية بعيدا عن صخب الحاضر وزيفه .

وفي المقابل نجد المدينة الحديثة التي تعتبر فضاء مضاد في وطبوغرافية وكذلك من الابعاد والدلالات للمدينة العتيقة ، فالمدينة الحديثة هي فضاء مفتوح إلا أنها تبدو فضاء للقذارة والعدوانية، لأنه لا توجد ثقافة المدينة لذا فالمدن اليوم أصبحت تشهد الخراب ومعه خراب الذوات أيضا « فلم تجد المدينة الاهتمام و العناية والمتابعة اللاّزمة ، وهذا ما أدى إلى فقدان ذاكرتنا الحقيقية وتاريخنا الصادق ، وهكذا أصبحنا بلا ملامح تميزنا »[2]

و نجد ثريا في هذا المقطع تتحدث عن المدينة التي في حلمها و ليست المدينة التي تعيش فيها:

«- جميلة فكرة المدينة الفاضلة التي تثبت في وعي كل واحد منا تصوره...

---

[1] – الرواية ص173

[2]– صالح ولعة: المكان ودراما المكان في رواية "عالم بلا خرائط " لجبرا إبراهيم جبرا وعبد الرحمن منيف.ص 55

- كيف هي مدينتك الفاضلة ؟...(سأل هاني) [.....]

- تحمل ألواني .... مدينتي الفاضلة هي المكان المستحيل الذي يحمل بكارة الجزر النائية تستعيد فيها الروح قدسيتها والجسد عذريته »[1].

ثريا ترى أن المدينة التي تعيش فيها ليست مدينة أحلامها رغم أنها فضاء مفتوح إلا أنها تبدو فضاء مغلق بالنسبة لها أما المدينة التي تريد ان تعيش فيها هي المدينة الفاضلة لأفلاطون فمدينة حلمها هي المدينة الطهارة والقدسية .

أما هاني صديق ثريا فهو يرى أيضا أن المدينة التي يعيش فيها ليست مدينته بل هي :

أضاف هاني :

-يطوقها البحر!..... الماء عنصر الطهارة !

وأنت يا هاني كيف هي مدينتك الفاضلة[.....]

- لها من"سبأ"شبه حيث قال فيها عبد الرحمن ابن زيد:

"إن الآية التي كانت لأهل سبأ في مساكنهم أنهم لم يروا فيها بعوضة قط ولا برغوثا ولا غيرها من الهوام وإذا جاءها الركب في ثيابهم القمل و الدواب فإذا نظروا إلى بيوتهم ماتت الدواب " »[2].

إن المدينة الفاضلة لهاني هي مدينة الطهارة والسكينة و الهدوء حيث لا ضجيج فيها ليست المدينة التي يحلمون بها لأن مدينتهم التي في أحلامهم هي مدينة للطهارة والقدسية والسكينة و أما المدينة التي يعيشون فيها هي مدينة الصخب والقذارة .

و نجد الراوي يسرد على لسان الشخصية كمال المفتاحي نظرته للمدينة :

«مسكينة المدينة... إنها مثل المرأة يشقى الرجال و يتنافسون على نيل رضاها ووصالها حين يهدا شهوة أجسادهم، و تستكين أعصابهم، ويعتدل المزاج و يسري الرضاء في عضلهم، و يطمئنون إلى مدى نجاعة فحولتهم يبصقون على بابها، و يرمونها بالعهر و يتهمونها بهتك عذريتهم التي جاؤوا مغفلين في مشيتها ....»[3].

فالمدينة في نظر كمال المفتاحي ليست سوى شيء للمتعة تنتهي صالحيتها مع انتهاء المتعة فالمدينة هنا فضاء الحاجة فحسب،لذا« أصبحت المدينة العربية فاقدة لكل جمالية ، وأصبح الحي

---

[1] – الرواية ص57.

[2] – الرواية ص 57 ، 58.

[3] – الرواية ص 56.

خليطا عجيبا من البنايات ، الياباني إلى جانب الغربي الأصيل ، الهندي الى جانب ناطحات نيويورك ...وبالتالي فقد الحي الانسجام والروابط الحية بسكانه ، وهذا ما ولد الاغتراب والنظرة العدائية للمدينة »[1]

و نجد صديق ثريا و كمال المفتاحي مجدي الشاعر فضل الانتحار على ترك بيته و البقاء في مكان أخر في هذه المدينة فقد عرف عنه أنه يبقى في البيت"فرقة الصطنبالي" ولا يخرج للمدينة و لا لسهرات و عندما جاء قرار لترك البيت من القضاء الحكومي فضل مجدي الشاعر الانتحار: «" لماذا تأتي أخبار الكوارث و الموت و الأزمات في الصباح".يستحيل عليّ أن اترك هذا المحل. ما لا يعرفه أحد منكم جميعا أن هذه العمارة شهدت مولد أبي في إحدى حجراتها المعتمة الرطبة ذات شتاء منذ عقود، على يد راهبة فرنسيسكان، من أم رومية الأصل [.....] تعيش العصافير و هي تطرد من أعشاشها، و قد أصبح الوبر ريشا.كما تنجو بعض السلاحف الوليدة من مناقير الطير المتربصة و هي تتحسس طريقا إلى الماء، طالعة من قشور البيوض المدفونة في الرمل. عشت مثل هذه الكائنات حتى لقيتكم و عرفت أن المكان شهد لحظة الانفصال عن الرحم فأنشدت إليه ... لا تفسير لدي... لكنني علقت المكان مثل خفاش على حد تعبير أحدكم

- أيها الأعزاء- صعب علي أن اترك الرحم...صعب علي الإنفصال ... رأيت جنياتي ينفشن ضفائرهن حزنا، فلا قلب لهن يترك المكان... ولا قلب لي بفصم العرى.

هنا الرحم القاسي الذي تفجر بالحياة.

هنا تفجر الشعر المتقد في خبايا نفسي على ضوء مصابيح من زيت عجيب،أضاءت فتيلة حبيباتي ... فكيف أغادر؟[.....]

أنا خلد ينفر من الضوء...خفّاش لا يرى إلا عالمه الليلي. نهايتي و نهاية هذا المكان واحدة.إن خطر لكم أن تقيموا حفل تأبين كما هو مشاع...فأبنوا المحل أيضا، و أبنوا فرقة الصطنبالي التي ستظل كيتيم لا سقف يأويه.. [.....]

معذرة إن لم أودعكم.

---

(1) – صالح ولعة :المكان في رواية "عالم بلا خرائط "لجبرا إبراهيم جبرا وعبد الرحمن منيف .ص55

مثل هذا الرّحيل لا يستدعي وداعا »[1].

إن مجدي يرى أن الخروج من مكان الذي خلق فيه هو الخروج لفضاء مغلق فنفسيته المليئة بالسخط والكره و النفور من المدينة جعلت مجدي الشاعر يظل في العزلة بدل الاختلاط بالناس و المدينة و وجد مكان معتم و قديم يؤول للسقوط وجد فيه الراحة و الانتماء.

إن المدينة الحديثة هي مدينة توحي بالخراب و هذا ما وصفه كمال مفتاحي في هذا المقطع و هو عائد لمكان إقامته عن المدينة و الذين يعيشون فيها: « أشد جذعه إلى فانوس كهرباء... تابع كمن يخطب في جمع خفي:

- خلف هذه الجدران المسورة بالقمامة يسهر بعضهم أمام اللواقط الفضائية متفرجين على شوارع لوس أنجلوس ولاس فيغاس.. تتدلى أشداقهم أمام CABARE MONDE LEPLUS GRAND .. ثم يضاجعون نسائهم و ينامون في فردوس عدن تجري من تحته الأنهار خالدة.... »[2].

إن كمال المفتاحي يصف لنا المدينة أو جزء منها مليء بالقمامة و من يعيشون فيها غير مبالين يشاهدون على شوارع مدن أخرى على تلفاز دون أن يهتموا لحال مساكنهم.

كمال يرى أن الناس الذين يعيشون في هذه المدينة جعلوا منها مكان للوساخة. فهذا المقطع يدل أن أصحاب المدينة لا يهتمون بنظافة مدينتهم فهي فضاء مغلق بسبب الناس الذين يعيشون فيها. فإن صور الخراب والتشويه التي طالت المدينة ، وغيرت ملامحها العمرانية « تجعل المكان يتجاوز دلالته المادية ووظيفته الهندسية إلى استنطاق الدلالة السيميائية لمفهومي التخريب والتهجير »[3]

إن المدينة الحديثة تحمل في طياتها أبعاد ودلالات على أنها مدينة للصخب والنفور والعزلة والقذارة على عكس المدينة العتيقة التي توحي على أنها مدينة محافظة وهادئة .

---

(1) - الرواية ص 166،167.

(2)- الرواية 76.

(3)- رشيدة بن مسعود : جمالية السرد النسائي ، شركة النشر والتوزيع المدارس ، الدار البيضاء ، ط1 ، 2006 .ص 71

إن المدينة العتيقة هي المدينة العربية المفقودة التي يبحث عنها الكاتب لإعادة إحياءها وإحياء هويتها المفقودة عن طريق فعل الكتابة وذلك بالكتابة عن المدينة العتيقة ويؤكد هذا ما قالته الروائية في حوار «لقد حاصرني موضوع روايتي "جمان وعنبر" ثلاثين عاما منذ كنت في سنواتي الأخيرة بمعهد منفلوري أمر مرتين أو ثلاث في الأسبوع على أماكن من المدينة العتيقة وما جاورها مثل الحجامين أو رحبة الغنم ، ونهج المر، فسوق العصر ثم انحدر عبر السلم الحجري بباب منارة نحو سوق السكاكين باتجاه أحشاء المدينة العتيقة أبحث عن رائحة العتيق والقدم ، وأتساءل ماذا أريد من تجوالي المحموم هذا المتكرر في المدينة العتيقة ؟ حتى أدركت أنني بالتخزين والانفعال واستقراء الأمكنة والحجارة دون تخطيط مسبق ودراية لإنجاز نص أدبي هو روايتي "جمان وعنبر"»[1]. إن الروائية في رواية " جمان وعنبر أرادت الحفاظ على المدينة العتيقة عبر فعل الكتابة ، فالرواية من أولها إلى أخرها احتفالية رائعة بالمدينة العتيقة فهي امتزاج للمكان بالذات .

2- الشارع:

يظهر الشارع الفضاء المفتوح و لقد احتل الشارع في الرواية العربية مكانة خاصة: « لقد احتل الشارع في الرواية العربية من قبل الروائيين الذين كتبوا روايات عن المدن العربية مكانا بارزا في الرواية العربية،و كانت له جماليات مختلفة باعتباره مسارا وشريان للمدينة،و في نفس الوقت نفسه المصب الذي يصب فيه الليل و النهار أشغالهما و تجلياتهما فهو المسار و الصب في آن واحد»[2]. ويعد الشارع فضاء مصغرا لفضاء المدينة بكل أبعادها الاجتماعية والثقافية والتاريخية ،وفي الرواية يبرز الشارع كفضاء حامل لمدلولات اجتماعية وتاريخية بالخصوص ، فهو يحكي بتعرجاته وأنهجه تاريخ المنطقة .

و من المقاطع التي تدل على أن الشارع فضاء منغلق هذا المقطع:

«عادت حورية أدراجها و خلفها شارع "باب البنات" كانت مباني الوزارات و قصر العدالة تغمر بظلها المباني الواطئة قبالتها، يفصل بينهما النهج الملتوي الممتد حتى ربض باب سويقة،أحسّت

(1) - http \\www .adab fan .com.

[2]- شاكر النابلسي: جماليات المكان في الرواية العربية،دار الفارس للنشر و التوزيع عمان، ط1 ،1994، ص 65.

حورية بالرعشة نفسها تستفيق و تعبر جسدها كلما تهيأت لزيارة مملكتها في الفسح الزمنية القصيرة التي يسمح بها شغلها كمهندسة ديكور في مدينة سياحية، عرجت إلى اليسار تقودها خطاها باتجاه "صباط الظلام" لطالما حدثها عنه عم حمادي العوادجي و عن هول ما شاهده في الماضي القريب...، عن طيف العروس الذي ينسل في العتمة يبحث بين الجدران الرطبة عن مخرج ... عن أزير الكروسة التي كانت تقلها إلى بيت عريسها و اختفت .. لكن الذي يشدها و يهز يقينها حكاية صعب: اليوسفيين الذين بوغتوا و قتلوا من قبل مواطنيهم....

" أهلا صباط الظلام ... سلام عليك أيّتها الأرواح التي اختزلت بلا خيار... يوم توارى الغدر خلف الحجارة المنذورة لكتم الأسرار و باغت الاطمئنان بنصال.ما احدّها في ظهر الأمن.أنبتت الدماء ديدانا على الحجارة ثم مرر النسيان إسفنجة يخدع التاريخ..... »[1].

إن شارع (باب البنات) تخفي في ثناياها حكاية موجعة ،حكاية الغدر المتخفية خلف حجارة المكان .

فالفضاء هنا تجاوز الجانب الشكلي إلى جانب رمزي إيحائي يدل على الغدر والظلام و الأسرار المكتومة ،لهذا يجلى الشارع هنا رغم طابعه الطوبوغرافي المفتوح كفضاء مغلق ومنغلق على أسراره .

إذن جاء فضاء الشارع كمعادل للماضي الحزين ، وللذكريات المؤلمة ،ذكريات الغدر والموت والتاريخ المشّوه .

إن الشارع تجلى كفضاء في الرواية ارتبط بما تصبه النفس عليه من مشاعر،لما حمل من خوف وكره وغدر فالشارع كما هو معروف ماديا واقعيا شارع القبح مرد هذا القبح هو ربماعدم الشعور بالانتماء عند الشخصيات لهذا المكان في الرواية، وهومنبع للفوضى فوضى الناس والحكام.

3- المسجد:

إن المسجد له دلالة دينية فهو مكان الصلاة و تلاوة القرآن و هو يبعث في الروح السلام و الطمأنينة و الراحة، و قد ذكر المسجد في الرواية لما يحمل من جماليات الفن المعماري.

[1]- الرواية ص 25.

«تمهل ادم و هو يمر أمام " الجامع الجديد" الذي شيده الباي الحسني الأول،تراءت له حورية، صبية نشيطة تتحرك مثل زنبور، تنظف سطح الدار وعينيها إلى الصومعة:

"لمشهد الصومعة من فوق سطوح البيوت،جمال خاص،ولحظة تنار فيها الفوانيس قبيل آونة الإفطار في رمضان لا تضاهيها في سحرها لحظة، يهتز لها الكيان. أرابط أثناءها على السطح حتى تعلو أصوات الآذان من كل مساجد المدينة و جوامعها في كورا... مهيب يخلب اللب.فكلما لو أن قلبي الصغير يترك قفص الصدر و يحلق متسلقا الصومعة الممتدة في الفضاء إلى مجثم عاليا و بعيدا ».[1]

إن الجامع في هذا المقطع يحمل دلالة جمالية وروحانية لما يتسم به من جمال الفن المعماري له ودلالات روحانية لما يشير الأذان من الهيبة و الوقار في النفس.وجمال خاص و خاصة في رمضان وقت الإفطار عندما تضاء الفوانيس يدوي صوت الأذان بسحر خلاب داخل القبة .

ونظرا لهذه الجمالية والروحانية التي يتسم الجامع بها فهو مدعاة للفخر و التباهي:

« "جامعنا أكبر و صومعته أجمل" تغامر بالقول إحدى البنات في فناء المدرسة و ينطلق بالتفاخر و التباهي :" بل الجامع الذي في بطحائنا أكبر و أرحب!" .

"أنتم لم تشاهدوا مسجدنا بصومعته ذات الزخارف و النقوش... ليس هناك ما يضاهيه.

كنت أكتفي بالصّمت و الابتسام فكل تلك المساجد و الجوامع التي يتحدث عنها رفاقي ملكي أنا، طالما أنها تقع في مملكتي فهي ملكي أنا،أطلع لأحييها لأتفرج على فوانيسها و هي تضاء تباعا قبيل المغربي و أملأ من شموخ الصوامع أتأمل العمارة المرفوعة بالأذان أغمض عيني و يمتلئ صدري بفيض من المهابة و الخشوع »[2].

لقد عادادم بذاكرته إلى ما حدثته عنه حورية لما كانت صبية عن الجامع وجمال عمارته وعمق روحانيته فحورية مغرمة بجمال الجامع تشهد شموخها من شموخ صوامعه و روحانيتها من صوت الأذان الذي يرفع فيها ،فيزيدها مهابة وخشوعا.

---

[1] – الرواية ص90 .

[2] – الرواية ص 90.

من هنا ففضاء الجامع يضفي على المكان وعلى الذات معا روحانية ورهبة من نوع خاص تجعل الذات تتسامى الى عوالم خاصة تضاهي شموخ صوامعها .

4- البحر:

البحر فضاء مفتوح وعادة البحر هو«أن البحر هو فضاء الذهول والخوف وباب واسع للغزاة والموت »[1]. إلا أن البحر في الرواية هنا كان له دلالات الراحة والاطمئنان والتمتع والحرية والاستجمام .

«هرعت حورية إلى البحر، مازالت الأجساد تغازل الرمال والماء رغم فتور الحر وتقهقر الموسم الصيف أمام الأمطار الأولى ... انسابت وراء خطاها خفيفة كهبة نسيم تغرز قدميها في الرمل، تحسست بأصابعها قواقع دفنها المد في جوف الحبات الذهبية. توقعت قبالة الماء والامتداد يمضي باتجاه الأفق .كان ثوبها الأنيق البني يتناغم مع لون بشرتها الصقلية تحت شلال الشمس، قطعة عنبر ذوب على أطرافها المسك فضاع و التمع....»[2]

إن حورية لجأت إلى البحر بعد رحلتها للمدينة العتيقة حيث وجدت فيه الراحة و الطمأنينة وكان للبحر جمالا جعل حورية تركض إلى أحضانه وتداعب الماء والشاطئ وتغمس رجليها في الرمال الذهبية و تغوص في منظر الشمس ونورها المشع.

وان سحر البحر وأمواجه كان له الأثر على حورية:

«يخترق الضّوء البحر،يضع ختم الصبّاح على صفحات اللجة المرتعشة الفضية ،حالما يتسلّق النور ضفائر الستائر المنسدلة على بلّور الشرفة العريضة ، تترك حورية السرّير وتمضي لتلتصق بالحاجز الشفاف يفصلها عن أنسام البحر.يعنّ لها في أيّام القيظ أن تترك غرفتها باكرا وتسير حتّى ممتد الرّمال وتتوقّف حيث يغمر الماء قدميها ، يخيّل لها أحيانا أنها تسمع أصواتا

[1] – إبراهيم صالح : الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمن منيف ، ص 21.

[2] – الرواية ص 37.

قادمة من العرض المتّحد بالأفق الضبابيّ ، تترنّم بأناشيد شجيّة ،بنبرة تحقّها ارتجافات الموج ويمتصّها الأثير عند السّاحل حيث تقف هي ،ترهف السّمع ووجها إلى مملكة عرائس البحر. » [1].

إن البحر كفضاء مفتوح هو فضاء لتمتع و الاستجمام وهو فضاء للتحرر من الهموم و هو يوحي لحورية قصص وحكايات عرائس البحر ومملكتهن.

فالبحر في الرواية بعيدا عن دلالات الخوف والرهبة الأسطورية فقد اكتسب مع حورية معاني مضادة وهي الانطلاق والراحة الجمال والحرية وسحر العوالم العجائبية .

5- سوق البلاط :

يقع سوق البلاط في المدينة العتيقة وهو من الأمكنة التي ترمز للتاريخ وللمدينة العتيقة إنه المكان الذي ترعرعت فيه حورية وتعيش فيه شامة البية والعم حمادي العوادجي .

يصف لنا الراوي سوق البلاط عندما تعبره حورية :

«تعبر حورية حذو دكاكين البخور و العطور الهندية وحزم الأعشاب تتكدس بمداخل الدّكاكين ،عيادات خارجيّة لأصحاب العلل الجسميّة و النّفسيّة المكان الذي عانقت فيه الحياة بين أحضان جدتها ذات فجر صيفيّ معطّر بأريج الحبق» [2].

فالسوق بمعماريته وخصوصيته التي تحفظ الماضي والتاريخ تجعل العم حمادي متمسك بهذا المكان رغم دعوة حورية لذهاب معها إلى حيث تسكن:

«لا أتصوّرني – يا ابنتي – بعيدا عن دكّاني وأصحابي وهذا الزقاق وخلوة "سيدي بلحسن الشاذلي " وأنا على طريقته كما تعرفين ...إنّني مثل سمكة تنتهي بخروجها من الماء »[3].

العم حمادي عاش في سوق البلاط وبقي فيه منذ كان طفلا فهو متعلق بكل حجر وبكل زواية فيه كسمكة لا يمكنها العيش إلا في الماء .

---

[1] – الرواية ص 61.

[2] – الرواية ص 27.

[3] – الرواية ص 29.

إنّ السوق كفضاء مفتوح حافل بالتنوع والاختلاف ،يشكل لدى العم العوداجي فضاء الانتماء الأبدي الذي لا يمكن الانفصال عنه ،فهو موطن الولادة وهو الذي يحفظ حكايا الطفولة ، وهو من يحتضن تاريخ وأصالة الذات وهويتها .

6- الحي :

إن الحي فضاء مفتوح هو:« في اللغة مأخوذة من الحياة ،وللحي معان كثيرة في اللغة :البين الوضح ، ومنها الحق ،لقولهم "لا يعرف الحي من اللي "أي لا يعرف الحق من الباطل ، ولعل الحي من أكثر أسماء الأمكنة العربية التي تشير إلى معنى الحياة وحركتها الدائمة،إلى درجة أن الحي اسم يشترك فيه المكان والإنسان ...ويشترك فيه الانسان والمكان في مفرده وجمعه معا »[1] .

وقد ورد وصف الحي بأزقته في الرواية بطريقة جمالية توحي بكثير من الحنين والجمالية :

« يغامر الصبيان بتسلق السّور والهرم المطل على الفناء، متاحشيا السقوط داخل المنزل المهجور الذي اكتسحته الحرابي وتوالدت فيه القطط وتكدست فيه نفايات السنين ،واختلطت في فضائه خيوط العنكبوت وتراكمات الغبار ... لا أحد يجرؤ على التفكير في دخول ذلك المحلّ. كنا فقط نستبيح شجرة التّوت العظيمة ما لم يحن المغرب، ما بعد ذلك من الأوقات، وحتى اليوم التالي، مجلبة للمكوه ومبعث للخوف والرّيبة ،.... كنا أيضا نسمّي الأزقة بأسماء نساء من معارفنا :زنقة خالتي فلانة وزنقة خالتي للا فلانة يحدث كثيرا أن نلتقي أثناء تسكّعنا وقت القيلولة ، تحت ظلال الصباطات بعشيقين يسيران في مكر "عروس وعروسة "ونسمي المكان " زنقة العرايس".كانت صورة العروسين هي الصّورة الطبيعيّة التي تجمع في تقديرنا بين فتاة وفتى ... »[2]

إن الحي في هذا المقطع مرتبط بذكريات حورية عن الطفولة فالوصف الجمالي للحي ارتبط بدفتر ذكريات حورية وأيام الطفولة في الحي ومن هنا فالعلاقة بين حورية والحي هي علاقة حميمية مليئة بالدفء والحب مرتبطة الطفولة البريئة والنقية .فالحب فضاء جاذب نظرا لخصوصياته السابقة .

---

(1) – شاكر النابلسي : جماليات المكان في الرواية العربية ، ص 51 .

(2) – الرواية ص 95.

7- المرسى :

إن المرسى هو فضاء مفتوح إلا أنه يبدو للعم حمادي هو فضاء سلبي يوحي للعم حمادي فهو سلبي لأنه يذكره بهمومه وأوجاعه:

«كرهت المرسى .... و قطار المرسى وانقطعت عن التعلم وابتلعني أسواق المدينة والارتزاق....ورثت عنك الصوت الحسن وحب المغني واكتفيت بمعرفة زبيدة ،والغناء صحبة زبيدة ، التغني بجمال عينيها وقامتها ... ظلت زبيدة حرقة القلب.. .»[1] .

المرسى فضاء مفتوح فهو فضاء التمتع ولكن للعم حمادي العوادجي كره المرسى وأصبح فضاء سلبي وذلك بسبب النفسية المتعبة واكتفى برفقة حبيبته زبيدة

ونجد العم حمادي يصف لنا وهو يعود بذكرياته إلى الماضي حيث كان يأخذ طريق المرسى بحثا عن والده :

« عرفت حين تغّيبت تماما،طريق المرسى عبورا بباب البحر والشّارع الطّويل العريض.عرفت القطار وعرباته الخشبيّة يشقّ البحيرة إلى عالمك يا قاسم التستوريّ ،يا مغني البلاط الذي أفل عزّه باكرا،أنزل أوّلا في حلق الوادي، أسأل اليهوديّة"ايفات"فتشير لي بطرف عينيها وبحركة من سبّابتها وهي بين زبائنها في الحانة أن أعود إلى القطار فأفهم أنك في المرسى عند جوليات .....أبتهج حين يلقاني صوتك ،ينساب بنبراته الأسرة التي لم يقدر على كسرها المرض ولا تقدّم السنّ وأنت تدندن :

"يافاطمة بعد النّكد والغصّة

يدور الفلك ونروحو للمرسى.."

لم تعد فاطمة يا قاسم ... ماتت في بيتها قرب "كتّاب الوزير" في "سوق البلاط" ..في حمى القطبين "سيدي محرز " و "سيدي بن عروس"... ماتت فاطمة ولم تعد إلى المرسى ... »[2]

[1] - الرواية ص 34.
[2] – الرواية ، ص 33 .

إن المرسى يذكر العم حمادي بالماضي وفي كل مرة كان يسلك طريق المرسى للبحث عن والده ان المرسى هنا هو مرفأ للذكريات . إن المرسى يحمل بعدا نفسيا فهو للعم حمادي أحيانا مكان سلبي وأحيانا ملجأ لذكريات الماضي .

ثانيا الفضاء المغلق :

إن الفضاء المغلق يؤدي دور سلبي يولد مشاعر المتناقضة وصراع الداخلي وأيضا بسبب نفسية شخصيات الرواية وبسبب أحاسيسهم نحو فضاء ما قد يكون فضاء مغلق بالنسبة لهم .

1- البيت :

لقد حظي البيت باهتمام العديد من الروائين و هذا ما جعل "باشلار" يضعه في المرتبة الأولى و يقدمه على الأمكنة الأخرى إذ أن البيت هو «واحد من أهم العوامل التي تدمج أفكار و ذكريات أحلام الإنسانية و مبدأ هذا الدمج و أساسه هما أحلام اليقظة، و تمنح الماضي و الحاضر و المستقبل البيت دينامية مختلفة كثير ما تتداخل أو تتعارض و في أحيان أخرى تنشط بعضها في حياة الإنسان و ينحنى البيت عوامل المفاجأة ويخلق استمرارية لهذا فبدون البيت يصبح الإنسان كائنا مفتتا ، إنه البيت يحفظه عبر عواصف السماء و أهوال الأرض »[1]. البيت ملجأ الأمن و الراحة و الحماية و الاطمئنان و الألفة .

وقد حظي فضاء البيت باهتمام خاص في الرواية خاصة من حيث العناية بوصف تفاصيله الدقيقة باعتباره بامتداد وجزء هام من المدينة العتيقة :

«انفرجت الخوخة شيئا فشيئا أمام القادمين تفسح للدخول بحدودها المرسومة عند اليمين،من أسفل البوّابة الخشبيّة العتيقة التي حال لونها وتأكل عنصرها »[2].

وبعد ذلك يصف الراوي بيت "شامة البية" وصفا دقيقا يجعل القارئ وكأنه أمام لوحة تشكيلية جميلة :

---

[1] – غاستون باشلار :جماليات المكان ص 38.

[2] – الرواية ص 17.

«بدا وسط الدّار مغمور بفيض الشمس و وهج القيلولة. تقدم آدم محفوفا بعبارات الترحاب يستطلع المكان. عبر الممرّ الوحيد على الجليز بين ملاءات طرحت عليها لتجف حبوب الجلجلان الرّفيعة و حبوب الصّنوبر،على دكة الماجل اصطفّت قناني ماء الزّهر و العطر شاء و ماء الورد و سفط متآكل من القصب حوى قطعا من الطّفل و وريقات عطر شاء،عند الزّاوية الشرقيّة ثمّة حوض صغير مجلّز يمتد منه جذع شجيرة ياسمين تعترش أغصانها الشبابيك القريبة وتتسلق الجدار إلى السّطح ممتدة على واجهة "البرطال" يخيّل للزّائر و هو يتأملها أنها لا تقل عراقة من حجارة الدّار يتمطّط الهدوء في الفناء و ما ضمّ المكان من أشياء متفرقة تستلقي في حلمها، تستمرئ كسلا تمليه القيلولة : عصفور "الكنالو "المتكوّر داخل قفصه في ظل "البرطال" القطّة الممدة بين أصص الحبق و السلحفاة القابعة في مكانها المعهود بين جرّتين ضخمتين من الفخّار المطليّ العتيق لا تعرف لهما سنّ »[1].

إن البيت يظهره لنا الراوي بأنه بيت من بيوت المدينة العتيقة قد يبدو من الوصف أنه قديم و عتيق الطراز و يصوره لنا الراوي أنه بيت الهدوء و الجمال و الأصالة، فهو فضاء مفعم بالراحة و الألفة و الجمالية .

و يصف لنا آدم بيت شامة البية أوشامة الحلوانية فيقول :

«دار شامة الحلوانية ،في الأصل هو القسم الذي اقتطعه من الدار الكبيرة صاحبه حمادي العوادجي وقد ورثه عن والدته و أقام سورا يفصل بين القسمين لتستقل فيه شامة وابنتها ويحتوي على قاعة كبيرة و أخرى أقل مساحة ومطبخا ومغسلة ، تمتدّ أذرع على عرض لا يفوت الأربعة .

أوّل ما يلاحظ أن المكان يبش لزائره ويسر الناظر إلى أرجائه لحسن تنسيقه على بساطته أثاثه ومفارشه يشعّ بالسّكينة والدفء »[2].

إن بيت شامة البية بيت من الطراز القديم وبسيط بساطة أصحابه يوحي لزائره بالبساطة والطمأنينة والراحة . ويتضح لنا بساطة البيت من خلال هذا الوصف :

---

[1] – الرواية ص 17،18.

[2] – الرواية ص 96 .

«يلج الزائر الدّار من باب يتصدّر وسطها بمصراعين من الخشب العتيق المنقوش ،يحيط بساكفيه عمودا الرخّام .عن يمين الدّاخل في القاعة الفسيحة، رتب ما يشبه الدّيوان من الحشايا و المساند والوسائد المتجانسة شكلا ولونا . فيما أقيم عن اليسار في الصدر، مجلس مختلف يتركب من تخت ومقعدين على شاكلته من الخشب الصقّيل المنقوش تتوسّطه مائدة من الطراز المغربيّ ،بسط عليها مفرش مشغول بالإبرة من رقيق الخيط القطنيّ الأبيض عليها مبخرة من النّحاس المنقوش .كسيت الأرضية بإكليم قفصيّ بكل مميزاتّ رسومه ورقمه وألوانه .أما الستائر فاختيرت من المخمل العاديّ أسدلت على الشّبابيك متناغمة مع المجلس والدّيوان .بين هذين امتدّت على ثلث الحائط مكتبة حورية »[1]

و نجد ثريا و هي في زيارة لمدينة مراكش تصف لنا بيت زارته للسيدة فريدة :

« أحست ثريا و هي تبحث عن مدخل المنزل كما لو كانت تعبر إلى دودة حرير... أو إلى بيت غابي عبر صفحات حكاية طفولية ملونة [....] بيت فريدة تحفة فنية نادرةعلى صغره يهشّ في وجه زائره بطابعه المغربي الأصيل...»[(2)].

إن بيت لا يميزه طراز بناءه بل الحديقة المليئة بألوان النباتات الجميلة الذي بعث في نفسية ثريا شعور التمتع بالطبيعة الخلابة.

و في مقطع أخر تصف ثريا البيت و الديكور من الداخل « كان الهواء القادم عبر الشرفة ينثر روائع النعنع و الريحان في غرفة الخوان، و أشعّة الشمس لا تتجاوز البرطال الذي يحمي مدخل المنزل الصغير الكامن مثل برعم حييّ بين أجمات الاخضرار وقد استكان في أرجائه نسيم متجدّد منعش.عادت ثريا تتأمل بإعجاب جليّ الديكور و الأثاث...» [(3)].

لقد جاء فضاء البيت في الرواية فضاء مغلق إلا أنه من خلال المقاطع الوصفية الدقيقة يحمل في طياته الألفة و الحميمية ،و الفرح والجمال ومبعث الطمأنينة .إلا أن هذه المقاطع الوصفية من جهة أخرى كانت تحمل بعدا ثقافيا وحضاريا ففضاء البيت بعمرانه الخاص ،وديكوره المتميز كان

---

(1) – الرواية ص 96 .

(2) – الرواية ص 175.

(3) – الرواية ص 176.

يحيل على ثقافة وحضارة كانت في الماضي ماضي عريق وحضارة راقية ،وتاريخ متألق ففضاء البيت بخصوصيته هو حامل لهوية ثقافية وحضارية ، ومن الأفضية المغلقة أيضا نذكر القصر في عهد البايات.

2- القصر:

إن القصر في الرواية مرتبط ذاكرة "شامة البية " القصر الذي عاشت فيه في صباها في عهد البايات وقد صورته "شامة البية " فضاء مغلق بسبب ما حمله من خبايا و أسرار:

«كل شيء طار من حول آل "السرايا " لم نكن مرتاحين مع بعض أهلها الراحة والاطمئنان ، تصبح وجوههم صارمة أحيانا و مراوغة أحيانا أخرى في ظلال الأقبية من جوف القصر ، حيث يحدث أن يلاحق سيد من الأسياد في نصف وعيه خادمة أو طباخة أو يرسل في طلب واحدة من النساء ،فلا تملك إلا أن تتحامل على نفسها و تتسلل إلى فوق في عتمة الأروقة وسكون الليل ... تنام الواحدة منا على وجعها، كسيرة الخاطر وقد أخذت في ظلال الزوايا على غرة أحيانا ...»[1] .

عادت "شامة البية " بذاكرتها للقصر و آل السرايا هذا المكان الذي كان ملجأ رزق بعضهم ولكنه كان في نفس الوقت مكان للذل والمهانة حيث استباحة الحرمات ،فهو فضاء سلبي في الرواية بالخصوص بالنسبة للمرأة الأنثى حيث كانت في هذا الفضاء جسدا مستباحا للمتعة .

نستنتج في الأخير أن الفضاء المغلق في رواية "جمان وعنبر" اقتصر على فضائين البيت والقصر، ففضاء البيت رغم أنه فضاء مغلق إلا إنه جاء كفضاء مفتوح حمل في طياته الدفء والحب والحنان أما القصر فهو فضاء مغلق فهو فضاء استباح فيه الجسد من أجل المتعة.

أما الفضاء المفتوح حمل في طياته دلالات عديدة كجمالية المدينة العتيقة التي هي الهوية التي حفظت خصوصية المنطقة الثقافية و الاجتماعية وسحر البحر ، وخصوصية السوق البلاط العمرانية التي تحفظ الماضي والتاريخ وشموخ المسجد ، وذكريات الماضي التي حملها المرسى في طياته ،أما الشارع رغم أنه طابعه الجغرافي مفتوح إلا أنه كان يحمل في طياته الغدرو الكتمان والذكريات المؤلمة .

---

[1]- الرواية ص 121 -122 .

إن الرواية احتوت على العديد من الفضاءات التي تشعر القارئ أن الرواية ألفت خصيصا لتبيان جمالية الفضاء وأبعاده الدلالية فالرواية من أولها الى أخرها هي احتفاء بالمكان وخاصة المدينة العتيقة التي تفوح بعبق التاريخ وتحكي زمن الانتماء من خلال ماتبقى من بقايا وأثار وصور.

الخاتمة

إن الاهتمام الواضح بأدب السرديات في عصرنا جعل من الرواية فن العصر ومحور تساؤل النّاقد و الأديب ، بل أصبحت تشكّل القضية الفكرية والجمالية و النقدية لهذه المرحلة في العالم العربي ،وغدا فيها الفضاء بعدا من أبعاد الجغرافية و الثقافية والسياسية .

لقد شكل الفضاء على الدّوام البؤرة التي تنظم فيها الكائنات و الأشياء و الأفعال بل وسائر الموجودات ، كما مثلت التقاطبات الفضائية معيار القياس للوعي الفردي والجماعي لمختلف سلوكياتهم ، وإذا عرفنا أن الباحث و الموضوع يسيران معا نحو المعرفة ، سندرك بأن الموضوع لم يكن سهلا ، خاصة في محاولتنا الوصول إلى مفهوم دقيق للفضاء يحتوي كل تلك المفاهيم وينوب عنها .

لقد حاولنا في بحثنا هذا الكشف عن دلالات هذا المكون باعتباره أساس من مكونات الخطاب الرّوائي ألا وهو الفضاء ، وقد كانت رواية "جمان وعنبر " لمسعودة بو بكر هي الوسيلة لفهمنا لهذه البنية على نحو من التجريب و الطرح الفعلي لما اجتمع لدينا من دلالات استطعنا أن نقف من خلالها على عّدة نتائج :

- الفضاء في النص السردي هو جوهر الكتابة وقد لا تظهر إن أغفلنا عنها و عن دورها .
- تتمثل أهمية الفضاء في تعميق وبلورة الأبعاد النفسية والسياسية و الاجتماعية والفكرية المختلفة.
- يكشف الفضاء عن كيفية انتظام العلاقة المرجعي و الفضاء بوصفه بنية متخيلة .
- هناك علاقة بين الفضاء و الوصف واللغة و الشخصية وهي علاقة جمالية دلالية .
- أضفى الفضاء على الرواية بعدا دلاليا وكان كذلك أسلوبا للكشف عن أنساقه خفية للواقع الإنساني واجتماعي ونفسي باختلاف مستويات الشخوص من جهة وتوفرها على تقنيات جمالية أخرى .
- أما من الناحية الدلالية للفضاء فقد تجاوز الطرح الكلاسيكي الذي يضع الأحداث في حيز جغرافي مثقل بالوصف إلى تحميل المكان لفضاء ذو أبعاد دلالية وجمالية من منطلق وعي كامل بما يقدمه هذا العنصر للرواية موازيا لكل من الواقع الاجتماعي و النفسي .

- ركزت الرواية على فضاء المدينة العتيقة حيث أن المدينة العتيقة هي الأم التي تحتضن الجميل و التاريخ انكساراته و انتصاراته هي الأم والرحم التي تحتضن الجمال، وهي المحبوبة التي تمنحك العشق الأبدي وهي تلك الأسطورة الجميلة تأخذك بعوالمها بعيدا عن صخب الحاضر وزيفه .
- إن الفضاء المغلق في رواية "حمان وعنبر" فضاء محدود اقتصر على البيت والقصر أما البيت فرغم أنه فضاء مغلق إلا إنه جاء كفضاء رحب وجاء كأنه لوحة تشكيلية جميلة يحمل في طياته الألفة والحميمية ومبعث لطمأنينة وهذا باعتباره امتداد جذور هام من المدينة العتيقة .
- كما يتضح لنا أن الفضاء المفتوح في الرواية فضاء رحب سحري جمالي مفتوح على جمالية المدينة العتيقة وسحرجمالية البحر وأصالة سوق البلاط وروحانية المسجد وذكريات الماضي التي يعبر عنها الحي والمرسى ،أما الشارع رغم طابعه الطوبغرافي المفتوح إلا أنه منغلق على أسرار الغدر والذكريات المؤلمة .

وقد اتضح لي من محاولتي لتحليل الفضاء في هذه الرواية و دراستي لجماليتها كأن الروائية مسعودة بوبكر ألف هذه الرواية خصيصا من أجل تبيان جمالية و سحر المدينة العتيقة و الانفتاح على فضاء ساحر خلاب و جمالي.

وختاما أتمنى أن أكون قد وفقت في هذا البحث راجية من الله وجل التوفيق و السداد.

الملحق

لمحة عن الروائية :

مسعودة بوبكر من مواليد 19 فيفري 1954 بصفاقص زاولت دراستها في كتاب الشيخ السبتي بجبل الجلود ثم المدرسة الابتدائية،ثم انتقلت الى العاصمة حيث قضت دراستها الثانوية بمنفلوري" شعبة اداب" ثم مدرسة تكوين في شؤون الادارة و السكرتارية بحمام الانف ، نشرت منذ الثمانيات في الصحف التالية:

- الشروق بطاقة أسبوعية بعنوان للراشدين فقط و لحظة صدق.
- الصحافة بطاقة أسبوعية بعنوان تحية الصباح.
- مجلة حقائق بطاقة أسبوعية بعنوان من جراب الزمن.
- الملحق الثقافي لجريدة الحرية بطاقة أسبوعية بعنوان عقد المرجان.

و اهتمت بتنشيط نادي القصة من مقر اتحاد الكتاب التونسيين و من أعمالها:

- طعم الأناناس قصص 1994.
- رواية ليلة الغياب 1997 متحصلة على جائزة بلدية قابس للإبداع الأدبي مناصفة مع رواية حوش خريف للباردي.
- رواية طرشقانة 1999.
- عقد المرجان مقالات أدبية 2000.
- لؤلؤ لجيد الكلام مجموعة شعرية 2000.
- شهامة نميل قصص للأطفال 2001.
- رواية حمورابي 2003 تحصلت على جائزة كومار للرواية.
- وليمة خاصة مجموعة قصصية 2004.
- رواية جمان و عنبر 2005.

ملخص الرواية :

تبدأ الرواية مع كمال المفتاحي وهو في حانة مع صديقه رضى بلحاج وهم أعضاء في فرقة موسيقية تدعى فرقة الصطنبالي ،كمال كان يشكو لصديقه حبه لثريا وهي مغنية في الفرقة وممثلة ثريا ،بعد أن شرب كمال المفتاحي حتى الثمالة عاد إلى منزله فهو يقيم فن نفس المكان الذي يعمل فيه كعازف لآلة الطامطام ، وهو في طريقه للمدينة يصف لنا حال المدينة والناس الذين يعيشون فيها ،وعندما يعود إلى المنزل يضع شريط فيديو لفيلم "مرمر الذاكرة" وبطلة الفيلم هي ثريا وممثل مشهور يدعى مراد عبد الرزاق ،ويروي الفيلم حكاية حورية مهندسة ديكور وآدم يمارس فن النحت وشامة البية أو شامة الحلوانية كما يدعوها البعض والعم حمادي العوادجي مغني ورث عن أبيه الصوت الجميل ووالده كان مغني في البلاط في عهد البايات .

إن هذه الشخصيات يجمعهم قصة عشق ووفاء للمدينة العتيقة ،حورية بطلة مرمر الذاكرة تعلقت بالمدينة العتيقة فنجد أنها تحكي لآدم الذي تعرفت عليه في إحدى قاعات المسرح وأيضا في أحد الفنادق حول المدينة العتيقة وعن رائحة المسك والعنبر فيها ،آدم تعلق بالمدينة العتيقة من خلال قصص حورية عنها فذهب في جولة مع حورية للمدينة العتيقة وهناك تعرفه حورية على شامة البية وعن قصصها في عهد البايات ،ويتعرف على العم حمادي العوادجي أحد رموز المدينة العتيقة ،آدم تعلق بالمدينة العتيقة ويتذكر في كل زاوية منها ذكريات حورية في هذه المدينة وعن طهارة المدينة وتاريخها وعن قصة العم حمادي مع سوق البلاط والغناء وحبيبته زبيدة وعن قصص شامة البية في قصر البايات وفي المدينة العتيقة .

إن الرواية تروي قصتان قصة مرمر الذاكرة أو المدينة العتيقة وعن ثريا وكمال المفتاحي وأعضاء فرقة الصطنبالي هاني طبيب وعازف قيتار رضى بلحاج قائد الفرقة ومجدي الشاعر وعن الأميرة ذات الأصول الملكية فهي من عهد البايات ، فبعد انتهاء فيلم "مرمر الذاكرة " ينام كمال المفتاحي ويستيقظ على صوت الهاتف يرن كان المتصل رضى

بلحاج يطلب منه المجيء من أجل التمارين التي قدم موعدها ،بعد التمارين تذهب ثريا مع كمال لمطعم الأميرة للغداء.

تعود ثريا للمنزل لتفتح دفتر ذكرياتها للحديث عن مرمر الذاكرة وعن حورية وآدم وقصة حبهما،آدم وهو مراد عبد الرزاق لثريا فهي معجبة به لذا قررت السفر إلى مراكش للقاءه حيث يصور أحد أفلامه،ولكن قبل هذا تزور الأميرة التي تروي لها عن طفولتها في قصر البايات وعن زوجها وعن بناتها التي زوجتهن وعن حبها لعم حمادي العوادجي العم حمادي شخصية حقيقية وليست شخصية خيالية في فيلم مرمرالذاكرة ،وبعدها تزور ثريا العم حمادي في منزله المطل على البحر ويتحدثان عن الفن وعن الماضي وذكرياته .

أما فرقة الصطنبالي فيصدر قرار حكومي بترك المحل وهذا يؤثر صديق كمال مجدي الشاعر فيقرر الانتحار لأنه لا يريد ترك المكان لما له من ذكريات فهذا المكان يحتوي على أسرار والده،فيفجع الجميع بخبر موت مجدي الشاعر ويحضرون له جنازة يحضرها جميع من عرفه ويؤثر موته على الجميع خاصة كمال المفتاحي ،ترك مجدي الشاعر رسالة يشرح فيها سبب انتحاره ويحضر الجنازة العم حمادي العوادجي و الأميرة ويقرر العم حمادي دعوة الفرقة لإقامة محل جديد للفرقة في منزله .

تسافر ثريا لمدينة مراكش بالمغرب الأقصى للبحث عن مراد عبد الرزاق تاركة رسالة لكمال تودعه فيها ،مراكش من المدن العتيقة التي أحبتها ثريا وتأثرت بجمالها، وهناك تقابل السيدة فريدة وهي صحفية فتخبرها أن مراد عبد الرزاق سافر في رحلة عمل ، وتصدم ثريا عندما تعرف أن مراد عبد الرزاق ليس إنسان طبيعي وأن كل ما يهمه هو التمثيل فحسب هو ليس آدم الشخصية التي أحبتها في مرمر الذاكرة .

عاد كمال المفتاحي إلى منزل والده بعد أن سافرت ثريا وموت صديقه مجدي الشاعر وبقي هناك لمدة حتى جاء إليه صديقه رضى بلحاج ويطلب منه العودة الى الفرقة بعد انتقالها إلى منزل العم حمادي ، فيعود كمال مع رضى بلحاج الى المدينة وتنتهي الرواية بمقولة :«لا بد - كي تنفتح أمامك الأمكنة - أن تتوهج في دواخلك الرغبة ، و أن يكون

لديك من التوق والشوق ما يكفي لتقدمه مهرا نبيلا ! عندها سترفع المراتيج عن البوّابات الخفية أمام خطاكوستفسح لمقدمك ممّراتها السرّية .... » .

قائمة المصادر والمراجع

أولا المصـــــــادر :

-القـــرآن الكريـــم :

1 ـ سـورة النـساء .

2 ـ سورة مريـــم .

- مسعودة بو بكر : جمان وعنبر ، دار السحر للنشر، 2005 .

ثانيا المراجـــــــع :

أ ـ المراجع العربية :

1 – أحمد حفيظة: بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، منشورات الثقافي، فلسطين، د ط، 2007.

2 - الأحمر فيصل : معجم السيميائيات دار العربية للعلوم ، ناشرون ، لبنان ، ط1 ، 2010.

3 – إبراهيم صالح : الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمن منيف ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط 1 ، 2003 .

4 – إبراهيم عباس : الرواية المغاربية ، تشكل النص السردي في ضوء البعد الإيديولوجي، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ،ط 1 ، 2005 .

5- باديس فوغالي : الزمان والمكان في الشعر الجاهلي ، علم الكتب الحديث ، الأردن ، ط1 ، 2008 .

6 – بحراوي حسن : الشكل الروائي (الفضاء والزمن ، الشخصية) ، المركز الثقافي ، بيروت، الدار البيضاء ، ط 1، 1990 .

7 – بنمسعود رشيدة : جمالية السرد النسائي ، شركة التوزيع المدارس ،الدار البيضاء، ط1، 2006 .

8-حسين مجيد الربيعي : نظرية المكان في فلسفة ابن سينا ، دار الشؤون ، الثقافية العامة، بغداد ، ط 1،1987 .

9- شاكر النابلسي : جماليات المكان في الرواية العربية ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الأردن ، ط 1 ، 1994 .

10– شريبط أحمد شريبط : بنية الفضاء في رواية غدا يوم جديد ، وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر(عنابة) ، ع : 155 ، 1997 .

11 – الشريف حبيلة : بنية الخطاب الروائي ، عالم الكتب الحديث ، الأردن، ط1، 2010.

12 – شعبان هيام : السرد الروائي في أعمال نصر الله ، دار الكندي ، الأردن ، دط، 2004 .

13- سمر روحي : الرواية العربية البناء والرؤيا ، مقاربات نقدية ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2003 .

14 – عبد المالك مرتاض : بنية الخطاب الروائي الشعرية ، دار الحداثة ، بيروت، ط1، 1985 .

15 – عبد المالك مرتاض : بنية السرد في الرواية العربية الجديدة (الجنازة نموذجا)، مجلة تجليات الحداثة ،معهد اللغة وآدابها ، وهران ، ع : 3 ، يونيو ، 1986 .

16- عبد المالك مرتاض : تحليل الخطاب السردي ، دار الحداثة ، لبنان ،د ط ، 1986 .

17 – عبد المالك مرتاض : النص الأدبي من إلى و إلى أين ؟ ، ديوان المطبوعات ، الجزائر ، 1983 .

18 – لحميداني حميد : بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1991 .

19 – مراد عبد الرحمان مبروك : جيوبولوتيكا النص الأدبي ، دار الوفاء ، الإسكندرية، ط 1 ، 2002 .

ب- المراجع المترجمة :

1- باشلار غاستون : جماليات المكان ، ترجمة : غالب هلسا ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع ، ط 2 ، 1984

2 – جون بيار كولدنستين : الفضاء الروائي ،ترجمة: عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، بيروت ، دط ، 2002 .

3-جوزيف اكيسنر : شعرية الفضاء الروائي ، ترجمة : لحسن احمامة ، افريقيا الشرق ، بيروت ، دط ، 2002 .

4- جيرار جينيت ،كولدنستين، رايمون وغيرهم :الفضاء الروائي ،ترجمة: عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق ، بيروت ، دط ، 2002 .

5- رسائل الكندي الفلسفية :ترجمة عبدالهادي أبو ريدة ، ج 2 ، مصر ، 1995

6 – مقاصد فلسفية : ترجمة سليمان دنيا ، دار المعارف ، مصر ، ط2 .

ثالثا المعاجـــم :

1-محمد الحسيني الزبيدي : تاج العروس جواهر القاموس ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1 ، 2007 .

2- ابن منظور (جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم الأنصاري)، لسان العرب ، تحقيق عامر أحمد حيدر ومراجعة عبد المنعم خليل إبراهيم ، الكتب العلمية ، بيروت ، ط3 ، 1994 .

3- المنجد في اللغة والإعلام : دار المشرق ، بيروت ، ط4 ، 2003 .

رابعـا المجـــلات :

- مجلة التبيين، الجزائر ،العدد 9 ، 1999 .

خامسا مواقع الانترنت :

http \\ www .adabfan.com.

الفهرس

فهرس الموضوعات

مقدمة: ..... أ-ب-ج

الفصل الأول :مفاهيم ومصطلحات

1- مفهوم الفضاء 05

أ- لغة 05

ب- اصطلاحا 06

2- مفهوم المكان 08

أ- لغة 09

ب- اصطلاحا 10

3- علاقة الفضاء بالمكان 13

4- أنواع الفضاء 15

1- الفضاء الجغرافي 15

2 - الفضاء النصي 15

3- الفضاء الدلالي 16

4 -الفضاء كمنظور أو كرؤية 17

5- أهمية المكان في الرواية 17

6- أهمية الفضاء 19

الفصل الثاني :دلالات الفضاء في رواية جمان وعنبر

أولا- الفضاء المفتوح 22

1 - المدينة العتيقة 22

2- الشارع 30

3-المسجد 31

4- البحر 33

5- سوق البلاط 34

6- الحي 35

7- المرسى 36
ثانيا- الفضاء المغلق 37
1- البيت 37
2- القصر 40
خاتمة 42
ملحق 44
قائمة المصادر والمراجع 48
الفهرس